

سورة المجادلة:

٢

تسميخ السورة:

- للسورة عدة أسماء: المُجَادِلَة على اعتبار الجدل الذي حصل بين المرأة والنبي صلى الله عليه وسلم، المُجَادِلَة على حال (صفة) المرأة وهي خولة بنت ثعلبة التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم، وتسمى قد سمع، وتسمى سورة الظهار.

- وهي سورة مدنية باتفاق المفسرين.

موضوعات السورة:

- قصة المرأة المجادلة، وأحكام الظهار وما يترتب عليه، والكفارة.
- الحديث عن أحوال المنافقين وموالاتهم لليهود.
- آداب متعلقة بمجلس النبي ﷺ، ومنها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا...) وآداب في معاملة النبي عليه الصلاة والسلام ومناجاته. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ تَخَوُّنَكُمْ صَدَقَةٌ...).
- الثناء على المؤمنين الذين تبرؤوا من المشركين واليهود، وبيان أن حزب الله هم المفلحون.

جزء قد سمع

١

تسميخ الجزء:

- سورة المجادلة تبدأ ب: (قد سمع الله قول التي تجادل) لذلك سُمِّيَ الجزء كله بـ "قد سمع"، كما سُمِّيَ الجزء الذي بدأ بـ "تبارك" بإسم أول سورة فيه، على عادة السلف.

خصائص الجزء:

- تكريم المرأة في الإسلام، فصار لها أحكام وشأن، وغضب الله لها وأنزل لها أحكاماً شديدة على الرجل إذا استهان بحقها

ملآنة الجزء:

- يُشاع بين عامة الناس أن هذا الجزء صعب بسبب وجود سور مثل: المجادلة، الممتحنة، الطلاق، التحريم، التغابن.
- فيه العقائد والأحكام والتربويات هو جزء يرقق القلب ويعمق الإيمان.

(الآية 1) :

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}

الظهار ونعريفه

٢

- أن يقول الرجل لزوجته: "أنت علي كظهر أمي" أو يشبّها بأي عضو من أعضاء المحرمات تحريماً مؤبداً (الأم، الأخت، العمّة، الخالة)، أو جزء منها يحرم عليه النظر إليه، فلو قال: أنت علي كبطن أمي، أو قال أنت علي كفخذ أختي، فبهذا اللفظ حُرمت عليه ويقع الظهار وكان الظهار وفي الجاهلية يُعتبر طلاقاً لا رجعة فيه.

"قَدْ سَمِعَ"

١

- "قد" هنا تفيد التحقيق والتوكيد. أي أن الله تعالى قد سمع يقيناً قول المرأة.
- هذا دليل على عناية الله بشكوى امرأة ضعيفة، ورفع شأنها حتى خلد ذكرها بالقرآن.

من هي المرأة المجادلة

٣

- هي خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت أخو الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنهما وكلهم من الأنصار وقد عاشت مع زوجها منذ صغرها.

١- قول أوس لزوجته خولة:

- تقول نزلت فيّ والله وفي أوس بن الصامت صدر سورة المجادلة،
قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه،
فدخل علي يوماً فراجعته بشيء أي ناقشته فيه
فغضب وقال: "أنت علي كظهر أمي"، ثم خرج فجلس
في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن
نفسي، قالت قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا
تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله
فيما بحكمه.

٣- نزول الوحي وبيان الحكم:

- قالت: والله ما برحت حتى نزل فيّ القرآن، فتغشى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه
(تقصّد الوحي) قالت ثم سُري عنه ﷺ، فقال لي: يا خويلة
"قد أنزل الله فيك وفي صاحبك" ثم قرأ عليّ:
{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَذِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا..
إِلَى قَوْلِهِ {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}
(الآيات من 4-1)

٤- كفارة الظهار:

- فقال النبي ﷺ: فُريه فليعتق يعتق رقبة، قالت: يا رسول الله ما
عنده ما يعتق فقال رسول الله ﷺ: "فليصم شهرين متتابعين"
قالت: يا رسول الله: إنه شيخ كبير مابه من صوم قالت: قال
رسول الله ﷺ: "فليطعم ستين مسكيناً" قالت فقلت: يا رسول
الله ما ذاك عنده
قال رسول الله ﷺ: "إنا سنعينك بعرق من تمر".
قالت: يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر .
قال ﷺ: "قد أصبت وأحسن فتصدقني به عنه. ثم
استوصي بآبن عمك خيراً" قالت: ففعلت .

نَمْلَةُ الْقَصَّةِ مِنْ رِوَايَةِ أُخْرَى

٢- لجوؤها إلى الله ونزول الوحي:

- لما لم تجد عند النبي ﷺ حكماً جديداً، لجأت إلى الله مسبب
الأسباب، فقالت: "اللهم إني أشكو إليك حالي، وانفرادي،
وفقري".
فوقعت كلماتها موقعاً عظيماً في السماء، حتى نزل جبريل
بالوحي على النبي ﷺ متلبساً إياه كالوحي الذي يكون
كالصلصلة، وهي أصعب أنواع الوحي التي تكون على النبي
ﷺ، معلناً الحكم الجديد وهو أبطال الظهار.

١- موقف خولة أمام النبي ﷺ:

- في رواية أخرى أنه كان جدال بين النبي ﷺ وخولة لما حكت
خولة الموقف للنبي ﷺ كما حصل فكان رد النبي ﷺ أولاً: "يا
خولة ما أراك إلا قد حرمتّ عليه"، لأنه لم يكن قد نزل حكم
الظهار بعد، وكان يعتبر طلاق في ذلك الوقت لذلك امتنعت
منه، حتى تتأكد وتسال النبي صلى الله عليه وسلم. فقالت
للنبي ﷺ: "يا رسول الله، إن أوساً قد تزوجني وأنا شابة
مرغوب فيّ، فلما كبرت ومات أهلي قال لي: أنت علي كظهر
أمي" وكانت لي منه صبية صغار، إن ضممتهم إليه ضاعوا،
وإن ضممتهم إليّ جاعوا. فأرادت أن تراعي مصلحة بيتها
وأولادها، لا أن تخرب بيتها. فرد عليها ﷺ: "ما أراك إلا قد
حرمتّ عليه" لكنها أصرت، وقالت: يا رسول الله لا تفعل،
فإني وحيدة ليس لي أهل سواه. "كانت تجادل وتراجع في
الكلام، لذلك سميت "المجادلة والمجادلة"

{تَجَذِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}

- المُجادلة: الحوار الذي فيه مراجعة وأخذ ورد واحتجاج ما
أحسن شكوى هذه المرأة رغم وقوفها بين يدي نبي الله
صلى الله عليه وسلم إلا إنها لما انقطعت بها الأسباب
لجأت لله عز وجل وحده وأحسنّت في شكواها إليه المشكلة
قد تكون بسيطة، لكن الحل الحقيقي أن تعرف كيف ترفع
شكواك إلى الله وهذه هي الشكوى الحقيقية أن الله قريب
سميع مجيب، يغير الأقدار ويحلّ أعقد المشاكل من أحسن
الشكوى إلى الله فَرَجَ الله همه.

موقف عمر ابن الخطاب

- كان ماشياً في موكب ضخم فيه رجالات الدولة وبينما هو
يمشي إذ نادى عليه امرأة قالت: يا عمر، فأوقف رضي الله
عنه الموكب ونزل عن فرسه، وذهب إليها ووقف معها
وأطال حتى ملّ من هم في الموكب، فلما رجع لهم قالوا:
يا عمر تركت الرجال وتركت الناس من أجل امرأة؟! قال عمر
رضي الله عنه: "أما تدرون من هذه المرأة؟" إنها خولة بنت
ثعلبة امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات
والله لو وقفت مع عمر إلى آخر الليل لوقف معها عمر

٨

نماذج من حسن الشكوى إلى الله

- عائشة لما اتهمت في عرضها قالت: (فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهِ اَلْمُسْتَعَانُ) فجاءت براءتها من فوق سبع سماوات.
- يشكوى يعقوب عليه السلام: قال (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ) فانفجرت كريتته واجتمع اهله عاد إليه بصره
- شكوى النبي ﷺ بعد الطائف لما دعا قائلاً: "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك". فلما اشتكى إلى الله، كان الفرج بعدها بالإسراء والمعراج، ثم لقاء الأنصار وإسلامهم ثم بيعة العقبة والهجرة وبداية التمكين.

(الآية 2):

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ﴾

١

بما يقع الظهار

- يقع الظهار بأن يقول الرجل لزوجته ما يشبهها بامرأة محرمة عليه مؤبداً، مثل قول "أنت علي كظهر أمي" أو "أنت علي كأمي"، أو بجزء منها محرم عليه النظر إليه كالظهر أو البطن أو الفخذ. ومن ظاهر عليه التوبة، أما الكفارة فهي لرجوع الحياة الزوجية.

٣

{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ}

- منهج القرآن في معالجة الظهار أو أي إساءة: التعنيف أولاً: بيان أن القول منكر وحرام. ثم التمهيد للحل: ذكر الكفارة التي تتيح للزوج العودة كما في الظهار، أو الحل المتاح حسب الحالة

٩

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

- الله يسمع شكواك، ويبصر حالك، فلا تُضَيِّع قلبك بين الناس، بل اجعل ملجأك الأول والأخير إليه وعلق قلبك بالله.
- {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ... وَاللَّهُ يَسْمَعُ... إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} فيه إثبات صفة السمع، سمع حقيقي لله سبحانه وتعالى..
- تقول عائشة رضي الله عنها: "سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت في الحجرة التي كانت فيها المجادلة، أسمع بعض كلامها ويخفي علي بعضه، ومع ذلك سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات"

١٠

التعجل في الطلاق وآثاره

- بعض الرجال خفيف العقل، يتلاعب بالطلاق في كل صغيرة وكبيرة كأن يقول: علي الطلاق لو فعلت كذا... وهذا سفه.
- وبعض النساء كل مشكلة عندهن مبرر لطلب الطلاق، وقد قال النبي ﷺ: "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة".
- وعليه لا أحد كامل، ومن كره من زوجه خلقاً رضي منه آخر.
- يجب أن نحل المشكلة طالما هناك مخرج وحل و يجوز للزوجة أن تساعد وتحل ماتقدر عليه.

٢

{وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا}

- حكم الظهار حرام ومنكر وزور، لأنه تحريم لما أحل الله وظلم للمرأة، والآية جمعت بين الوعيد والتعنيف ثم فتحت باب التوبة والعفو.

٤

النبي وأثرها في الظهار

- إذا قال الرجل لزوجته: "أشعر أنك مثل أمي" في حنانها عليه مثلاً، أو ناداها بـ"يا ماما" من غير قصد الظهار، لا يقع الظهار، لقول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات" و الأفضل ترك هذه الألفاظ تماماً لتلا يلتبس الأمر

(الآية 3):

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}

٢

● قديمًا الأصل أن يحرر عبدًا أو أمة لوجه الله، وهذا الحكم غير موجود حاليًا.

{ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ}

٤

● الوعظ: هو الكلام الذي فيه ترهيب وترغيب.

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

٥

● فلا يصح أن يتحايل الإنسان على أحكام الشرع؛ كأن يطلب الفتوى من غير أهلها، أو يغيّر في حقيقة الواقعة ليخفف الحكم عنه، أو يروي القصة بوجه آخر، أو يكذب ويتساهل، أو حتى يكتم الطلاق طلبًا لحكم يوافق هواه، الأحكام تُبنى على الصدق والأمانة، والله يعلم خفايا النيات.

(الآية 4):

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وهي على الترتيب لا على التخيير، فالبدل إذا لم يجد رقبته هو صيام شهرين متتابعين من قبل شهران هجران متتابعين.

{فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ}

٢

● الأصل أن الصوم عبادة معتادة للمسلم، قد تعودها خلال رمضان.

● من كان صحيح البدن قادرًا على الانضباط، فعليه الصيام، وإن احتاج إلى صبرا لأنها عقوبة.

● الأصل أن صيام شهرين متتابعين ليس صعبًا بل هو واجب. من صام رمضان سابقًا يستطيع صيام الكفارة، ومن لم يصم رمضان لكبر أو عجز أو عذر جائز لا يصم الكفارة، وينتقل للحل الثالث وهو إطعام ستين مسكين. ولا يباشر زوجته إلا بعد إتمام الكفارة.

{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

٤

● الإشارة إلى أن الامتثال للأحكام واختبار للإيمان، لأن الأحكام فيها شدة، خاصة إذا خالفت الهوى أو ثقلت على النفس. الإيمان يظهر في مخالفة الهوى لا في اتباع ما يوافق النفس. مثال: الصلاة محبوبة، لكن الحجاب أو ترك المحرمات يكشف حقيقة الإيمان.

{وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

٥

● يكفر بالله من أعترض على حكم الله أو رفضه أو لم يرص به، فقد عرّض نفسه لل كفر.

{ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}

١

● يعزمون على الجماع أو مقدماته بعد وقوع حكم الظهار.

{مَّن قَبِلَ أَن يَتَمَاسَّا}

٣

اختلف العلماء هل المقصود هنا الجماع فقط أم مقدمات الجماع؟

● بعض أهل العلم قال أن الممنوع منه هو الجماع، أما مقدمات الجماع فهو غير ممنوع منها.

● وبعض العلماء قال أنه ممنوع من الجماع ومقدمات الجماع كالقبلة والمباشرة.. وهو الأقرب والأحوط.

● إذا ضوابط الكفارة: واجبة قبل أن يقارب الزوج زوجته، فمن جامع قبل التكفير آثم وفعل فعلًا محرّمًا، ولا يعتبر زنا، لأنها زوجته، ولا يحتاج كفارة ثانية، فقط تبقى عليه الكفارة مع التوبة.

أحكام خاصة بصيام الكفارة:

١

● من أفطر يومًا منها بلا عذر، لزمه أن يبدأ الصيام من جديد. أما إذا أفطر لعذر كمرض أو سفر، فيتوقف ثم يكمل بعد زوال العذر.

● إذا وافق صيام الكفارة شهر رمضان، فالأولى أن يضبط شهرين بعيدين عن رمضان، فإن وقع رمضان في أثنائها صام رمضان، ثم أفطر يوم العيد، ويستأنف إكمال ما بقي من الكفارة ابتداءً من اليوم الثاني من شوال.

{فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا}

٣

● المسكين هو الفقير الذي لا يجد. صفة الإطعام تكون:

● إما وجبات كاملة لستين مسكينًا من وسط أكل الناس فيعمل 60 وجبة ويطعم 60 مسكين. أو نصف صاع من بقوليات كالرز أو عدس والله أعلم (نحو 1.25 كجم تقريبًا من قوت البلد) لكل مسكين. لا يجوز إطعام مسكين واحد 60 مرة، بل لا بد من ستين شخصًا مختلفين.

● فجعل الله الصيام المرحلة الثانية بعد العتق، لأنه أشد على النفس من الإطعام، لكنه أيسر من العتق الذي قد لا يستطيع كثير من الناس القيام به.

(الآية 5):

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}

{يُحَادُّونَ}

- أي يجعلون أنفسهم في حدّ وعداء مقابل لحد الله ودينه. ومثلها: "يشاق" أي في شقّ آخر غير شق الدين. ومثلها: "يعادي" من العدو. أي انه بينه وبين دين الله مسافة.

{بَيِّنَاتٍ}

- واضحات.

(الآية 6):

{يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

{جَمِيعًا}

هناك قولان:

- القول الأول (الأقرب) يجمع الله الخلائق الأولين والآخرين.
- القول الثاني: جميعًا يجمع كل فرد على حدة مهما تفرقت أجزاؤه. وعموم القولين يكمل بعضهما.

{فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا}

- النبا أعلى من الخبر، فالخبر قد يكون خبر عادي، أما النبا يشير إلى أمر عظيم وهو هنا الحساب على الأعمال ومصيرهم.

{كُبِتُوا}

٢

- أي أهينوا وأذلّوا ولم يصلوا لمرادهم أو مقصدهم.
- معنى الكبت: عدم الوصول للمراد. وحتى لو قتل الكافر المؤمن، فإن ثبات هذا المؤمن حتى الموت يُفشل غاية الكافر.
- الغاية الحقيقية للكافر: إخراج المؤمن من دينه قال تعالى: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم} فالغاية هي أن ترتد.
- الكافر يظل مكبوتًا طالما ثبت المؤمن على دينه، حتى لو تعرّض المؤمن للقتل أو العذاب.

{أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}

٣

- والله جل في علاه لا ينسى، كل شيء مسجّل بدقة صغيره وكبيره، حاضر ومستتر ولا يُظلم أحد، فالعدل مطلق.
- لا تحقر ذنبًا احتقار الذنب يؤدي إلى نسيان الاستغفار عنه وعالج الذنوب فور وقوعها بالاستغفار والتوبة بالاذكار إذا أصبت بالذنوب صباحًا استغفر فورًا، لا تنتظر المساء وهكذا.
- اخش الله: اخش من لا ينسى ذنوبك التي نسيته، وارجو من لا ينسى حسناتك التي نسيته.
- ماذا يفعل من ينسى ذنوبه: يستغفر الذنوب المنسية، كما كان النبي ﷺ يستغفر عن الذنوب: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه".
- أو كما في الحديث: "واستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب".
- أمثلة على الذنوب العصرية: الكلمات، التعليقات، والتفاعلات، والمشاركات على وسائل التواصل الاجتماعي فاحذرها.
- التذكير بالعدل الإلهي: الله شاهد على كل شيء لا يضيع عمل صالح، ولا يُغفل ذنب، لا ينسى، ولا يظلم.

(الآية 7):

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ ۚ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۚ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾

دليل علو الله سبحانه وتعالى

٥

الأدلة من الكتاب

- (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)
- (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)
- (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)
- (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)
- (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)

الأدلة من السنة

- حديث أبي سعيد الخدري: حيث قال ﷺ "ألا تأمنوني؟ أنا أمين من في السماء".
- حديث أبي هريرة: قال النبي ﷺ: "ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل".

- رحلة الإسراء والمعراج: عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله.

- حديث الجارية: سأل النبي جارية أين الله؟ فقالت في السماء، فأثبت إيمانها.

- حديث حجة الوداع: رفع النبي صلى الله عليه وسلم السبابة إلى السماء وقال: "اللهم بلغ اللهم فاشهد".

الأدلة من أقوال الأئمة

- الإمام المالكي: "الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان".

- الضحاك: "الله على العرش وعلمه معهم".

- المُزني وهو تلميذ الشافعي: قال في وصف الله تعالى: "الله عال على عرشه بذاته، وقريب بعلمه من خلقه، أحاط علمه بكل الأمور، وهو الجواد الغفور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور".

- ابن خزيمة: الأخبار كلها دالة على أن الخالق البارئ فوق سبع سموات.

- الذهبي: الدليل على أن الله تعالى فوق العرش والمخلوقات، ومع ذلك علمه في كل مكان، وفق الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين والأئمة.

إجماع السلف

- اتفق السلف على أن الله سبحانه استوى فوق العرش استواءً يليق بجلاله، ليس كمثله شيء، ولا يشبه خلقه، فالله تعالى مع خلقه بعلمه وسمعه وبصره، لا بذاته.

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾

٦

- فأعد لهذه المسألة جواباً.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾

١

- هذه الآية مناسبة للآية التي قبلها (أَخَصَّنَا اللَّهُ وَتَسُوهُ)

- الإحصاء يستلزم العلم التام، فالله عز وجل مطلع على كل أمر، لا يغيب عنه شيء في السماوات ولا في الأرض، وأكد سبحانه هذا المعنى بقوله: (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ)

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾

٢

- والمراد من الآية إظهار علم الله وإحاطته بالمؤمنين والكافرين على حد سواء.

- قال العلماء في تفسير النجوى: هي حديث السر بين اثنين أو أكثر، غالباً في أمر لا يريدون أن يسمعه الآخرون.

سبب التسمية:

- من النجوة، أي المكان المرتفع؛ لأن صاحب السر يصون حديثه عن الظهور وقال آخرون: سميت نجوى لأن أصحابها يعتزلون الناس ويتحدثون بمعزل عنهم

- ولا يشترط في النجوى أن تكون بصوت خافت؛ فقد تكون مرتفعة الصوت، المهم أن غيرهم لا يفهم ما يُقال، سواء بلغة أخرى أو لهجة بألفاظ غير معروفة وقد تكون النجوى في الخير أو في الشر.

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ ﴾

٣

- أي: لا يجتمع جماعة يتناجون سرّاً إلا والله معهم بعلمه، يسمع كلامهم، ويعلم ما يدور في قلوبهم، فمهما زاد عددهم أو قل، فالله معهم بعلمه، مطلع على سرهم ونجواهم.

- ينبغي أن تكون نجوانا في طاعة الله ورضاه، وأن نعامله وكأننا نراه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا.

عقيدة أهل السنة والجماعة

٤

- المعية المقصودة هنا معية العلم والإحاطة الإلهية والشهادة، وليست معية الذات، فالله معنا بعلمه وإحاطته، لا بذاته

(الآية 8):

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ
حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فِئْتَسَ الْمَصِيرُ﴾

نصرفات اليهود ومكرهم
بالمؤمنين في العصر الحديث

٢

اليهود منذ القدم، يسعون إلى إيذاء المؤمنين وإحزانهم بكل وسيلة.

- واليوم حين امتلكوا وسائل الإعلام العالمية، صار لهم سبيلٌ جديدة لإحزان المسلمين، منها:
- نشر الفواحش والمنكرات.
- بث الأخبار السيئة والمحبطة.
- التحريش بين المسلمين.
- تضخيم قوة أعداء الإسلام، وبث روح الضعف في نفوس المؤمنين.

لذلك يجب على المؤمن أن يفهم أسلوبهم، وألا يصاب بالإحباط أو الحزن، بل يقاوم ذلك بالتوكل على الله تعالى والثقة بوعده ونصره.

﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾

٤

- وأما معصية الرسول ﷺ فهي تشمل الإثم والعدوان معاً، لأن النبي ﷺ نهى اليهود بعدم النجوى لكنهم لم ينتهوا. فخالفوا نهى النبي ﷺ فكان ذلك معصية مباشرة للرسول بالإضافة إلى الإثم والعدوان، فاجتمع فيهم الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

معنى التحية في اللغة

٦

قوله تعالى: "حَيَّوْكَ" من التحية، وأصلها من كلمة الحياة. كان العرب في الجاهلية يقولون: حياك الله أو أحياك الله، أي: دعا لك بالحياة الطيبة.

ثم صارت كلمة "التحية" تطلق على كل سلام أو تحية تُقال، مثل: السلام عليكم أو صباح الخير.

لكن الله تعالى علّم المؤمنين تحية مخصوصة فقال: (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً)،

والله عز وجل، سلم على المرسلين وقال: (وَسَلِّمُوا عَلَى الْمُرْسَلِينَ).

فالتحية المشروعة من الله هي: السلام عليكم ورحمة الله.

سبب نزول الآية

١

نزلت في اليهود حيث كان بينهم وبين النبي ﷺ "موادعة" هدنة، فكان اليهود إذا مر بهم أحد الصحابة جلسوا يتناجون سراً، فيظنّ المؤمن أنهم يتحدثون بقتله أو بأمر يكرهه، فيخاف منهم ويغيّر طريقه.

فلما علم النبي ﷺ بفعلهم نهاهم عنه، لكنهم عادوا لما نُهُوا عنه، فكان ذلك دأبهم في إيذاء المؤمنين بكل وسيلة، ولو بكلمة أو نظرة. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقد كان اليهود يتعمّدون ذلك لإيذاء الصحابة وإثارة القلق والخوف في نفوسهم، خاصة مع استمرار التعامل التجاري بينهم في المدينة.

﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

٣

الإثم: هو المعصية كل ما يخالف أمر الله من قول أو فعل، ولا يؤذي الغير، مثل الكلام في الربا أو القمار أو الأمور المحرمة.

العدوان: عندما يكون التناجي مرتبطاً بإيذاء الآخرين، كالسرقة، أو التدبير للمقابل، أو الإيذاء النفسي، أو التمر، أو السخرية وفيه ترويع وإيذاء للمسلم.

﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبُرَى وَالنَّفْوَى وَأَنْفُوا
اللَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَوْنَ﴾

٥

فمن آداب الكلام أن يكون دائماً في الخير والبر، بعيداً عن الإثم والعدوان من نميمة وبغض وحسد أو أذى، فإن هذه المجالس لا تحرق الوقت، بل تحرق الحسنات وتذهبها.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ
يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾

٧

ومن مظاهر عدوان اليهود ما فعلوه في تحيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم. فكانوا إذا سلموا عليه، يغيرون ألفاظ التحية عمداً، فيقولون:

"السام عليك يا أبا القاسم"،
أي الدعاء عليه بالموت، وليس السلام.

آداب النخبة

٩

تنبيه لغوي

- لا تقولوا "سامو عليكم" : وهو خطأ شائع بين بعض الشباب اليوم حين يختصرون التحية فيقولون: "سام عليكم" أو "سامو عليكم" بدلاً من "السلام عليكم".
- فـ "السام" تعني الموت، وهي نفس الكلمة التي قالها اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم

البدء بالنخبة

- تحية الإسلام شعار خاص بالمؤمنين، وهي تحية من عند الله فيجب على المسلم أن يفتح لقاءه بها، فيقول: السلام عليكم، وبعد ذلك إن شاء قال: صباح الخير أو أهلاً وسهلاً، فلا حرج، حتى في المكالمات الهاتفية، ينبغي أن يبدأ المسلم بالسلام

{حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ بَصُلُونَهَا
فَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

١١

- جزاء الظالم وحسابه عند الله وحده، فليس تأخير العقوبة دلالة على عدم وقوعها، فالعقوبة قد تكون مؤجلة أو كاملة في الآخرة: {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ أَهْلَكْتُمْ لَمَّا ظَلَمْتُمْ وَجَعَلْنَا لِمَفْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}

- وإن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

- يوم القيامة يجتمع كل الخصوم، ويُقضى لكل مظلوم حقه، كما في قوله تعالى: {وَأَيُّهَا الْمُقِيمُونَ اجْزَوْا كُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ}

- العقوبة قد تأتي فجأة أو تؤجل بالكامل للآخرة، كما وقع لفرعون.

- لا تغتر بالمظاهر، فالصحة أو الرزق والنجاح في الحياة ليست دليل أن الله راضي، وثق بأن الحساب يوم القيامة أكمل: "أفأمنوا مكر الله؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" وارتبط كل موقف بالآخرة.

{وَنَنْجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى}

٢

- فلنحرص على مراجعة أعمالنا وأقوالنا، ولنجعل البر والتقوى منهج حياتنا اليومية.

{وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ}

٣

- اتق الله وتذكر الآخرة وعلق قلبك بها، واضبط سلوكك بالبعد عن كل ما يغضب الله لا تشاهد ما لا يليق، ولا تسمع الأغاني.
- كلما هممت بمعصية، ضع أمامك قوله تعالى: {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ}

أدب الرد على نخبة غير المسلمين

٨

- بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أدب الرد فقال: "إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: وعليكم." فإن قالها بحق، أي: السلام عليكم، فالمعنى: وعليكم السلام.
- وإن قالها تحريفاً أو خبثاً، كأن يقول السام عليكم، فالمعنى: وعليكم ما قلتم.

- الدعاء المستجاب يكون للمؤمنين لا لليهود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يُستجاب لنا فيهم، ولا يُستجاب لهم فينا."

{وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا
يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ}

١٠

- يقولون فيما بينهم، لو كان محمد نبياً لعذبنا الله بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به، هذا تعال للنفس وخداع شيطاني أن الجزاء قد لا يظهر فوراً في الدنيا، وأن الجزاء الأكبر محفوظ يوم القيامة.

من صور العدوان في الواقع المعاصر

١٢

- أن يجتمع بعض الناس ليتناجوا بحديث فيه أذى أو مكيدة لأحدهم

- وهذا حرام شرعاً؛ لأنه يدخل في باب العدوان، ويشمل ترويع المسلم وإيذائه، وقد يبلغ حد التنمر والسخرية.

(الآية 9):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ
الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

توجيهات الآيات

١

- الآية توجه دعوة للمؤمنين للتناجي بما يرضي الله، ونهيهم عن التناجي بما فيه إثم، كالتحدث بالباطل، أو عدوان على الآخرين، أو مخالفة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم.

- فكل كلمة تُقال تُسجل، ولا يقال: "كنّا نمزح" أو "كنّا نحرق الوقت"، لأن الوقت لا يحرق بل تحرق فيه الحسنات.

- الآيات تذكر المؤمن أن كل موقف قد يقوده إلى معصية أو ظلم هو امتحان له، وأن حسابه أمام الله قريب.

(الآية 10):

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

أنواع النجوى

٢

- النجوى الصالحة: كمن يتشاورون في عمل خيري، أو يخططون لمبادرة دعوية، أو يسعون للإصلاح بين الناس في سرٍّ لا يُراد به الرياء، بل الخير.
- النجوى الخبيثة: وهي المقصودة في الآية، كالتي يفعلها اليهود بالمسلمين، والاجتماعات في المجالس للكيد، أو السحر، أو نشر الإشاعات، أو الحسد، أو التفريق بين الأزواج، و الكلام في أعراض الناس.

النتيجة النفسية للوساوس الشيطانية

٤

- حين تستسلم لهذا الخوف، يتحوّل إلى همٍّ وحزن، ثم إلى إحباط ويأس وكسل.
- ولذلك كان النبي ﷺ يستعيز بالله فيقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل."
- لأن الهم والحزن يُنتجان العجز والكسل، فيصير الإنسان محبطًا، قليل الهمة، لا يريد عملاً ولا عبادة.

منهج الأنبياء في مواجهة الملائ

٦

- سيدنا هود عليه السلام: حين اتفق قومه على قتله، قال لهم: (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)
- وقال سيدنا نوح: (فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عِمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ)
- هؤلاء الأنبياء لم يخافوا من المكائد البشرية لأن قوة توكلهم على الله، وقوة إيمانهم، كانت أعلى من أي تهديد.

النجوى المقصودة في الآية

١

- النجوى المقصودة هنا هي النجوى السيئة المحزنة، فالنجوى ليست كلها مذمومة. النجوى المحزنة هي من عمل الشيطان الذي يريد أن يُقلق المؤمنين.

الشيطان بربر حزن المؤمن

٣

- الشيطان يستخدم النجوى ليحزن المؤمنين ويزرع في قلوبهم الريبة والشكوك.
- وقد تشعر أن الناس يتحدثون عنك، أو يحسدونك، أو يصنعون لك سحرًا، لكن في الحقيقة، الشيطان يوهمك بهذه الصور ليحزنك فقط.

﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

٥

- هذه الآية علاج لكثير من مشكلاتنا النفسية؛ فحين تدرك أن كل ضرر لا يقع إلا بإذن الله، يطمئن قلبك، وتزول مخاوفك من الحاسد أو المؤذي. فلا تضع وقتك في الخصومات أو مراقبة الناس، بل وجه قلبك إلى الله وحده، متوكلًا عليه، وثقًا أنه لا نافع ولا ضار إلا هو، ومن توكل عليه كفاه.

الحسد والسحر وأذى الناس

٧

- حتى الحسد أو السحر، فهو بإذن الله فقط، وليس بسبب قوة الحاسدين أنفسهم.
- فلو وقع بك حسد أو سحر فهو لسببين:
 1. لتقصير منك: فيعاتبك الله، ويعاقبك ليهديك.
 2. لحكمة وابتلاء: لرفع درجتك أو تعليمك الصبر، كما حدث للنبي ﷺ عندما أصابه السحر فكانت الحكمة تعليم الناس.
- التعامل الصحيح هو التوجه إلى الله بحسن التوكل، والاستعاذة به بالمعوذات، مع المواظبة على الأذكار.

(الآية 11):

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

سبب النزول

هذه الآيات نزلت لتعليم الصحابة آداب الجلوس في مجالس الذكر، قال قتادة، أن هذه الآية نزلت في مجالس الذكر، حيث كان بعض الصحابة يحرصون على المقاعد الأولى ويخشون قدوم كبار الصحابة أو طلبة العلم المميزين فيجلس كل واحد ضاغظاً على مكانه. فأمرهم الله أن يفسحوا مجالسهم للآخرين.

قال النبي ﷺ:
"لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا".
فالمقصود ألا يحق لأحد أن يمنع غيره من الجلوس أو يضيق عليه مكانه، بل ينبغي التنازل بسلاسة ومن غير عناد، فلا شدة في منع الآخرين، ولا إهمال في تقدير مكانهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا﴾

النشور هو الترفع، يقال امرأة ناشز: أي مترفعة على زوجها.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَلَكًا وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

الرفعة الحقيقية في الدنيا والآخرة يكون في طلب العلم والعمل الصالح، والعلم يزيد المؤمن قرباً من الله.

(الآية 13):

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنَّ تُفَدُّوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ ۖ فَاذْكُم لَمْ تَفْعَلُوا وَتَأَبَّ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

نسخ حكم الصدقة وأدب مناجاة الله

في هذه الآية عفا الله عن الصحابة ونسخ الحكم،
لأنهم فهموا الغاية وأدب التعامل مع النبي ﷺ.
"أأشفقتم: راجعتم أنفسكم."
شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، إذا خرج ليوم الجمعة، تصدق بما عنده من طعام وكان يقول:
أمرنا الله تعالى بالصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ،
فالصدقة قبل مناجاة الله أفضل وأولى.

﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾

فاعدة الجزاء من جنس العمل

- فما تفعله للآخرين يعود إليك:
- مجرد فسحة صغيرة، يفتح أبواباً كبيرة للرزق والسكينة والراحة.
- ترك المحذوف في الآية يجعل الوعد عام وشامل، بحيث أي فعل بسيط من الإنسان في مصلحة الآخرين
- المرونة في ترك بعض الكلمات من الآية تعطي العموم والشمولية للمعنى.

﴿انْشُرُوا﴾

- تعني قوموا.
- والمقصود بها هنا: القيام في مجالس العلم، أو عند ازحام المجلس، أو عندما يقتضي الأدب والانشغال احتراقاً للحاضرين.
- هناك قول آخر يخص مجالس العلم فقط يشمل الصلاة، أي إذا حان وقت الصلاة وأنتم في مجلس علم فقوموا وصلوا ثم عودوا إلى مجالس العلم.

(الآية 12):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ ۚ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

نزول الآية

- كان الصحابة رضي الله عنهم يكثر من ملاقات النبي ﷺ للحديث، وأحياناً كانت هذه اللقاءات كثيرة أو غير مهمة، مما كان يرهق النبي ﷺ.
- فأدبهم الله بهذه الآية: قبل أن تتحدث مع النبي ﷺ، قدم صدقة، الغرض منها تعليم الصحابة أدب النجوى وعدم إهدار وقت النبي ﷺ فيما ليس مهماً
- هذا الأدب اختبر على الصحابة، ويروى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان الوحيد الذي طبق هذا الحكم عملياً حينها، ويُقال إن هذه الآية كانت نافذة ساعة واحدة فقط من النهار، ثم أصبحت بعدها مستحبة وليست واجبة.

(الآية 14):

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

١ موضوع وحديث الآيه

- الحديث عن المنافقين في المدينة الذين وآلوا أعداء الله من اليهود، وأظهروا للمؤمنين خلاف ما يُبطنون.

٢ ﴿تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

- تولّوا: اتخذوا قوماً أولياء، أي ناصروهم ومالوا إليهم.
- المقصود بهم غالباً اليهود، لأن الغضب الإلهي ورد وصفاً لليهود في مواضع كثيرة. لأنهم ضلّوا على علم؛ أي عرفوا الحق ثم خالفوه
- إشارة إلى مواليتهم لليهود على حساب المؤمنين، رغم علمهم ببغض الله لهم.

٣ ﴿مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾

- أي المنافقون ليسوا مؤمنين خالصين ولا يهوداً صراحاً، بل في حالٍ من التذبذب.

- الغضب الإلهي وصف متكرر لليهود.

٤ درجات الولاية للكفار بين الكفر والمعصية

الموالاتة الدنيئة

- قد تصل إلى الكفر إذا أحب المرء دينهم أكثر من دين المسلمين أو أطاعهم في الكفر، مثل السخرية من الإسلام أو النبي ﷺ.

الدرجة الأدنى

- تدخل في المعصية، مثل تقليدهم في اللبس أو العادات دون إنكار الإسلام.

- وقد نهى الله عن ذلك كما في قوله: (لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...)

الولاية الصادقة للإسلام تظهر في المحبة والطاعة والافتداء

- فتحب المؤمنين وتطيعهم وتقتدي بهم وتنصرهم، وتبغض الكافرين وأفعالهم.

- وتعترف بدينك ودين الإسلام، وتتبع منهج الإسلام وأدابه وشعائره.

قال تعالى: (وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ آتِمْهَا أَوْ كَفُورًا)

٤ الولاية في الشرع

- الولاية في الشرع لا تعني فقط القرب أو المعاشرة، بل لها معاني متعددة، منها:

1- المحبة القلبية:

- أن يحب الكافر ويبغض المؤمنين، فيصرف المحبة الشرعية في غير موضعها.

- فالمؤمن مأمور أن يحب في الله ويبغض في الله. قال تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)

- على المسلم أن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله تعالى.

2- النصرة:

- أن ينصر الكافر على المؤمن، خصوصاً في حال الحرب أو الخصومة، وهو من أخطر صور الولاية.

3- التشبه بالكفار:

- في المظهر والعادات والتقاليد، مع الاستهانة بهدي الإسلام وسننه.

- كمن يُعجب بطريقة الكفار أو من يريد نقل التجربة الغربية كاملة إلى بلاد المسلمين، ويستخف بالسنن الإسلامية في المظهر والعادات، ويسخر من الحجاب وآداب الإسلام، وهذا بلا شك من اتباع الكافرين.

4- الطاعة في معصية الله:

- أن يطيع الكفار فيما يُغضب الله، كمن يكتب أو يتحدث بما يهين الإسلام أو النبي ﷺ لإرضائهم.

٦

مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ

- ينطبق على حال المنافقين في المدينة، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، الذي كان يتولى اليهود، ويؤيدهم وينصرهم من بني قينقاع وبني النضير، بل ويدافع عنهم.

- اختلف المفسرون في المقصود بهذه الآية على وجهين

1-القول الأول

- أنها تصف المنافقين أنفسهم، أي أن المنافق لا هو من المؤمنين ولا هو من اليهود. فهو ليس مسلمًا صادقًا ولا يهوديًا صريحًا، بل يعيش في حالة تذبذب بين الطرفين.

2-القول الثاني

- أن الجملة تصف اليهود، أي أن المنافقين تولوا اليهود الذين لا هم من المسلمين ولا من المنافقين. فاليهود يظلون يهودًا، لا يبدلون عقيدتهم ولا يوالون المؤمنين، ومع ذلك يسعى المنافقون لكسب ودهم.

- إذا أخذنا بالمعنى الثاني، فالمعنى يحمل مبالغة في الذم؛ فالمنافق يتولى قوفاً لا يجمعه بهم دين ولا مبدأ، يستغلونه لتحقيق مصالحهم في حرب الإسلام، وعند أول منعطف يتركونه بلا اعتبار لأنهم لا يعدوه إلا وسيلة. ولو انضم للمسلمين، لكان من حزب الله المفلحين، لكنه اختار طريق الخيانة والخذلان.

٨

اليمين الغموس

- هو أن يحلف الإنسان كاذبًا وهو يعلم أنه كاذب.

- وسمي "غموسًا" لأنه يغمس صاحبه في النار. وهو من أكبر الكبائر، إذ يجمع بين الكذب والاستهانة بإسم الله.

- لو أن إنسانًا نسي حقيقة أمر ما فأنكر وحلف ظنًا منه أنه صادق، فلا إثم عليه، لأنه لم يعلم أنه كاذب حين حلف.
- أما إن علم أنه يكذب ويخالف الحقيقة وقت الحلف، فهذا هو اليمين الغموس المحرم. فإياك أن تحلف على كذب.

- إذا حلف شخص على أمر سيقوم به في المستقبل، وقال: «والله سأفعل كذا»، فهذا يُسقى يمين الحلف. وإذا لم يفعل ما حلف عليه عند وقوع الوقت، يجب عليه كفارة اليمين، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو صيام ثلاثة أيام إذا لم يستطع الإطعام.

- أما اليمين الغموس فهو مختلف، إذ تحلف فيه على أمر حصل بالفعل، وأنت تعلم أن الأمر لم يحدث أصلًا.

٧

وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

- أي يدركون تمامًا أنهم كاذبون حين يحلفون
- وكذلك الآية تصف حال المنافقين حين يواجهون النبي ﷺ والمؤمنين بقولهم: "أما"، فإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: "إنا معكم إنما نحن مستهزئون". فهم يكذبون ثم يحلفون كذبًا لتثبيت باطلهم. وهذا ما وصفهم الله به في قوله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَبْشَهُدُ بِكَ لِرَبُّنَا أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَآلَهُ يَعْلَمُ بِكَ لِرَبِّنَا وَأَلَّهُ يُشْهِدُ إِنَّا الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}

- يقسمون كذبًا على الإيمان وهم يعلمون بباطلهم خلاف ذلك. وهو ما يعرف بـ "اليمين الغموس".

٩

كفارة بيمين الغموس

- لا كفارة له، لأنه أعظم من أن تُكفّر بإطعام أو صيام. وطريق التوبة منه هو الندم الصادق، والاستغفار، والإكثار من العمل الصالح رجاء مغفرة الله.

١٠

رأي العلماء بيمين الغموس

- اليمين الغموس لا تتعلق بالمستقبل، بل بالماضي، حين يُقسم المرء على شيء وقع وهو يعلم أنه لم يقع.

١١

آداب الحلف

- عدم الحلف كاذبًا أبدًا.
- عدم الإكثار من الحلف ولو كان صادقًا.
- أي لا تتخذوا الحلف عادة تردّدونها في كل أمر.

١٢

أثر كثرة الحلف

- كثرة الحلف قد تؤدي إلى الكذب، وتُسقط الثقة بين الناس. من اعتاد الحلف يُظن به الكذب ولو كان صادقًا، ويصبح غير موثوق لدى الآخرين.

(الآية 15):

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

- العذاب الشديد أعده الله للمنافقين في الدرك الأسفل من النار، لأن نفاقهم أخطر من كفر الكافرين الصرحاء.

- فالكافر الصريح معروف العداء، أما المنافق عدو باطن، فيطعن الصف الإسلامي من الداخل، ولذلك كان خطره أشد وعقوبته أعظم.

(الآية 16):

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً

● أيماهم: أي حلفهم الكاذب

● جنة: أي وقاية وستر

● المنافقون جعلوا أيماهم الكاذبة درعاً يحتمون به من العقوبة أو الفضيحة.
فإذا اتهم أحدهم بالنفاق أو الإساءة إلى النبي ﷺ، حلف بالله أنه بريء، فيصدق لقلة البينة

● بعض المنافقين كانوا يحاولون التهرب من العقوبة بالكذب والإنكار، خاصة إذا لم يكن هناك شاهد على كلامهم. فاليمن يستخدمها للهروب من التهمة، بينما البينة تكون على من يدعي الحق. هذا يوضح خطورة النفاق وأساليب المنافقين في التملص من المسؤولية.

٣ صفات المتبطين

● غالباً ما يحاول المنافقون إحباط المؤمنين وتشويه حماسهم، فتسمع أقوال مثل:
"لا تذهبي للصلاة، اجلسي معنا."
"لا ترتدي الحجاب، أنت جميلة هكذا."
"ما الذي فعلته بنفسك؟ لماذا تفعلين ذلك؟"

● على المؤمن أن يسأل نفسه:
هل فيه صفة من صفات المنافقين؟

● ليس بالضرورة أن يكون الإنسان منافقاً كامل النفاق، لكن قد توجد فيه خصلة من خصالهم، كأن يحبط غيره عن العبادة أو الخير.
● إياك أن تكون سبباً في تثبيط أحد، بل كن مشجعاً على الطاعة حتى وإن كنت لم تفعلها بعد.

● ولو كنت مقصراً، فادع غيرك وقل: "ادع لي أن أكون مثلك يوقاً".

● المؤمن الصادق لا يصد الناس عن سبيل الله، بل يعينهم عليه

٢ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

● الصد: هو المنع والإعراض
● وهذا يشمل نوعين من الصد:

1- صد غير المسلمين عن الإسلام:

● فالمنافق حين يظهر الإسلام ثم يهاجم الدين من داخله، ينفر الناس من الدخول فيه.

2- صد المؤمنين عن الطاعة والعبادة وتثبيطهم:

● فالمنافق لا يكتفي بنفسه، بل يتببط غيره عن العمل الصالح

٤ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ

● العذاب المهين هو العذاب الذي يجمع بين الألم والإهانة، الذي يكسر كبرياء صاحبه ويذله.

(الآية 17):

﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾

● فعل المنافقون كل ما فعلوه من كذب ونفاق وحلف خوفاً على أموالهم وأنفسهم..

● فمن نفاقهم: أنهم حلفوا كذباً ليحافظوا على أموالهم، فقال الله: لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً.

الفوائد المستفادة

● "من عصى الله لأجل مصلحة دنيوية، حرمه الله من تلك المصلحة، ولو نالها لما بارك له فيها، بل عوقب بنقيض قصده".

● الرزق الحقيقي هو بالبر والطاعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يضمنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته".

● اتبع طاعة ربك مهما كلفك الأمر، فمنهايتها خير للمتقين.

٢

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

- المقيمين فيها إقامة دائمة.
- هم ليسوا زوّاراً أو عابرين، بل ملازمون لها أبداً.
- خَالِدُونَ
- تعني لا موت بعدها ولا خروج منها.
- عاقبة الكفر الخلود في النار.

(الآية 18):

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

١

معنى "جميعاً"

فيها قولان:

1- القول الأول

- يبعث الله الأولين والآخرين جميعاً للحساب.
- كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الواقعة 49-50)

2- القول الثاني

- أن الله يجمع أجزاء كل إنسان مهما تفرقت.
- فمن احترق أو تفرّق جسده في الأرض أو البحر، فإن الله يجمعه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْسِفُ مِنَ رِّقَّةٍ وَلَا يَخْلُقُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام 59)
- فحين يُبعث المنافقون، يتجراؤون على الله
- ويحلفون لله كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا.
- يتوهمون أن الكذب سينفعهم كما نفعهم مؤقتاً في الدنيا.

(الآية 19):

﴿اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّ سُلْطَانَهُمُ الذِّكْرُ وَلَهُمْ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

١

اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّ سُلْطَانَهُمُ الذِّكْرُ وَلَهُمْ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ

- استحوذ أي ضمهم إليه وغلب، على قلوبهم وعقولهم، حتى صاروا في قبضته، دون مقاومة لأنهم فتحوا له الأبواب، حين يضعف الإيمان ويقلّ الذكر تتسلل وساوس الشيطان حتى تسيطر تماماً على القلب، فينزع من العبد أعظم سلاح وهو ذكر الله.

- الشيطان لا يكتفي بإضعاف المؤمن، بل يسعى إلى نزع السلاح بالكلية، فيجعل العبد غافلاً تماماً عن الله.

٢

حمايت النفس من استحواد الشيطان

- الشيطان ضعيف جداً، لا يملك سلطاناً على المؤمن المتوكل على الله فلا تخف من الشيطان، ولا من الحسد أو السحر، ولا تعش في وساوس دائمة.
- المؤمن الحقيقي أقوى من الشيطان أضعافاً مضاعفة، لأن الله معه.
- المؤمن لا يُهزم ما دام ذاكراً متوكلاً، لأن الذكر يقطع تسلط الشيطان ويعيد البصيرة إلى القلب

٣

خطوات عملية للتخصيب
من الشيطان

1. المحافظة على الأذكار
 2. الالتزام بالصلاة في وقتها، فهي صلة مباشرة بالله.
 3. الرقية الشرعية للنفس والأهل والبيت بالقرآن.
 4. الإكثار من الذكر.
 5. قطع وساوس الخوف: لا تكثر تفكيرك في السحر أو الحسد، بل وجه قلبك نحو التوكل واليقين.
- الشيطان لا يستطيع أن يتسلط على قلب عامر بذكر الله استحوذته لا يكون إلا على من غفل، أما الذاكرون، المتوكلون، الواعون لقوة ربهم، فلا سبيل له إليهم.

٤

مظاهر نسبان ذكر الله

- 1- نسبان الذكر بالقلب
 - يغدو القلب لاهياً، لا يفكر في الآخرة ولا في إصلاح النفس، بل ينشغل بالدنيا وشؤونها السطحية.
- 2- نسبان الذكر باللسان
 - ينذر التسبيح والدعاء، وتضعف الأوراد
- 3- نسبان الذكر بالجوارح
 - يؤدي العبادات بلا روح ولا خشوع، كما قال تعالى: (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتَى يَرَاءُونَ النَّاسَ).
 - فتغيب الحياة عن الجسد، ويصبح الذكر عادة لا عبادة.

٥

ظاهرة النصر الإيماني

- بفصل بها
- جفاف القلب الروحي
- بعد خضرة الإيمان. وفقدان النشاط الإيماني.
- ويبدأ حين يقلّ الذكر والقيام وقراءة القرآن، فيفقد القلب رطوبته ولذته، ويصبح هشاً ضعيفاً سريع الانكسار.

عواقب النصر الإيماني

1. ضعف الالتزام الداخلي رغم المظهر الديني.
2. خلل في المعاملة والسلوك، كالمشكلات الأسرية والأخلاقية الناتجة عن غياب الإيمان الحقيقي.

العلاج والمقاومة

- الرجوع إلى الذكر.
- المداومة على الأوراد والقيام والقرآن.
- عدم الرضا بالتراجع الإيماني

٦

(أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْكَاسِرُونَ)

- النتيجة من نسي ذكر الله صار من حزب الشيطان، الذين يسلكون طريق المعصية والبعد عن الحق، خسروا في الدنيا والآخرة.
- يخدع بعض الناس أنفسهم حين يظنون أن ترك الطاعة تحرر، فيتبرمون من أوامر الله لأنها "قيود".
- لكنهم لا يدركون أن الخروج من طاعة الله ليس حرية، بل انتقال من عبودية الرحمن إلى أسر الشيطان؛ فمن رفض الانقياد لرب رحيم، انقاد لعدو يريد له الهلاك.
- الحرية الحقيقية أن تطيع من خلقك لكرامتك، لا من يقودك إلى مهانتك.

٨

خطى الشيطان المحكم كما
بينها القرآن الكريم

- بين الله تعالى مكر الشيطان وخطواته المتدرجة في إضلال الإنسان، من الإغواء إلى السيطرة الكاملة

1- الإغواء (الاستهواء)

- الاستهواء هو بداية الطريق، حين يزّين الشيطان الباطل فيضلّ العبد عن الهدى ويته به بلا وجهة.
- قال تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا...)
- (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا...)

2- الزلل (الاستزلال)

- بعد الإغواء، يدفع الشيطان العبد إلى الزلل والمعصية، مستغلاً ضعف النفس وآثار الذنوب.
- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا)

3- الاستحواذ والسيطرة

- هي المرحلة الأخيرة؛ حين يهيمن الشيطان على القلب والعقل حتى يُنسى ذكر الله ويُغلق باب التوبة.
- قال تعالى (اسْتَحْذَوْا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ)

٧

المفارقة بين نوعين من القيود

- قيود الطاعة: عزّ وكرامة، لأنها انقياد لمن يريد لك الخير ويهديك إلى التوبة.
- قيود المعصية: ذلّ وامتهان، لأنها خضوع لشيطان يريد ضرك وإذلالك.
- الاستحواذ الشيطاني اعتقال لا يُفك قيده إلا بتوبة صادقة، تعيد القلب إلى نور الذكر والطاعة.
- أما من أصرّ على غفلته، فسيقع في قيدٍ أشدّ، في نارٍ لا فكاك منها.

(الآية 20):

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾

النملين الزائف وثمن بيع الدين

٢

- لو افترضت أن الكفار منحوك التمكين، وأعطوك السلطة والجاه، بشرط أن تكفر أو تنافق أو تهاجم الدين، أو تبيع دينك.
- ففي الظاهر أنت في عزة، تملك الصلاحيات والجاه، لكن في الحقيقة، أنت مهزوم عند الله، لأنك بعث دينك ومبادئك في مقابل الوصول إلى السلطان.
- فمن فهم هذا المعنى أدرك تحقق قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ اللَّهُ لَأُخْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾
- فالله تعالى غالب دائماً.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
- الله سبحانه وتعالى قوي وعزيز، لا يغلبه أحد، ولا يغالبه.

يُحَادُّونَ

١

- يعادون ويخالفون أوامر الله ورسوله، يعيشون دائماً في الذل والخوف والاضطراب النفسي، مهما كانت مكانته

(الآية 22):

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ

٢

- ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾
- يقال نزلت في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، حين قتل أباه يوم بدر رغم أنه كان يتحاشاه.
- ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾
- نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ كان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين يوم بدر، فقال له أبو بكر بعد إسلامه: "لو رأيتك يوم بدر لقتلتك".
- ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾
- نزلت في مصعب بن عمير رضي الله عنه، حين قتل أخاه عبيد بن عمير في بدر.
- ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾
- وفيها قولان:
- قيل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين قتل قريباً له في بدر.
- وقيل في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، لأنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾

٤

- وقيل إن المقصود بالروح هو القرآن
- وقيل أيضاً: الروح هو جبريل عليه السلام، وهذا معنى عظيم؛ إذ إن من يتولى الله يؤيد بملائكته، ومنهم جبريل عليه السلام.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

١

- استخدام أسلوب النفي، أقوى من أسلوب النهي، يدل على استحالة وجود مثل هؤلاء.
- يواد: من الود
- أمر الله أن نعامل الكفار بالبر والعدل، كما قال تعالى: (لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ)
- فالمقصود بالبر والقسط هنا هو العدل والإحسان في المعاملة، لا المحبة القلبية.
- من حاد الله ورسوله: من عادى الله ورسوله ورفض أو خالف أمره.

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾

٣

- أي: أقر الإيمان، وجعله ثابتاً في قلوبهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

٥

- أي جنات متعددة، تجري من تحت قصورها ومسكنها الأنهار، خالدين فيها، آمنين من الموت.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

٦

- أعظم نعيم أهل الجنة: رضوان الله وهذه هي الجائزة الكبرى.

أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

٧

- هذه بشارة بأنهم المفلحون في الدنيا والآخرة.

مآوار السورة

٢

- أحداث غزوة بني النضير: وهي المعركة التي وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير، وسنتحدث عنها بتفصيل لاحق.
- أحكام الفيء: وهو ما أفاءه الله على المسلمين من أموال بني النضير بعد الغزوة
- فضل المهاجرين والأنصار.
- فضل من جاء بعدهم بإحسان: الذين اتبعوا نهج الصحابة وكان في صدورهم سلامة لهم.
- ذكر المنافقين وموقفهم: حيث تعرّضت السورة لموقف المنافقين من غزوة بني النضير، وخاصة عبدالله بن أبي بن سلول الذي حرّض اليهود على الثبات وعدم الاستسلام، ووعدهم بالمدد ولم يف بوعده.
- تشبيه المنافقين بالشيطان.
- الخاتمة والمواعظ: اختتمت السورة بالتذكير بتقوى الله والنظر في الآخرة، وذكر حال أهل الجنة وأهل النار، وأثر القرآن في القلوب، ثم الثناء على الله تعالى بأسماؤه الحسنى.

طوائف اليهود المدبنة من اليهود

٤

- 1- بنو قينقاع.
- 2- بنو النضير كانوا يرون أنفسهم أشرف الطوائف، بزعم أنهم من نسل هارون عليه السلام، وأنهم من الطوائف اليهودية التي لم تتعرض للجلاء عبر التاريخ.
- 3- بنو قريظة كانوا يعيشون في أطراف المدينة، لا في وسطها.

فصّة يهود بني قريظة

٦

- حدثت معهم مشكلة لاحقة بعد غزوة الأحزاب. فقد تعاونوا مع قريش وغطفان في غزو المدينة. كانوا متواطئين على خيانة النبي صلى الله عليه وسلم. فغرف أمرهم فأسر رجالهم ثم قتلهم، وسبيت نساءهم وذرياتهم وقسمت أموالهم.

التعرّف بالسورة

١

- سورة الحشر سورة مدنية بالاتفاق.
- موضوعها الرئيسي يدور حول غزوة بني النضير، ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: سورة الحشر هي سورة بني النضير، حيث إن الصحابة كانوا أحياناً يسقون السور بأشهر موضوع فيها.

يهود المدبنة

٣

- علم اليهود من كتبهم أن المدينة ستكون مهاجر نبي آخر الزمان، ولذلك أقاموا فيها ينتظرون ظهوره.
- وكانوا يقولون للعرب: سيأتي نبي نتصبر به عليكم، لكنهم لما علموا أن النبي من بني إسماعيل وليس من بني إسرائيل، كفروا به.

المعاهدات مع اليهود

٥

- عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، عقد معاهدة مع اليهود الثلاثة، تنص على السلم، وعدم الاعتداء على المسلمين، وعدم خيانة العهد أو مساعدة الأعداء ضدهم.
- لكن حين خانت إحدى الطوائف، كان النبي صلى الله عليه وسلم ومسلم مخيراً فيهم بين أربعة أمور هي:
 1. العفو
 2. الأسر (السبي)
 3. الطرد أو الجلاء
 4. القتل

فصّة يهود بني قينقاع

٧

- في شأن بني قينقاع حدثت واقعة مشهورة. بدأت الأحداث بتعرض صائغ يهودي لامرأة مسلمة في سوقهم فكشفت عورتها. فقتل رجل من المسلمين الصائغ اليهودي. فرد اليهود بقتل المسلم. اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك خيانة للعهد، فأجلى بنو قينقاع عن المدينة.

فصّة يهود بني النضير

٨

- الذين خانوا النبي صلى الله عليه وسلم فكان جزاؤهم الجلاء. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعدّ بهم في الدنيا، كما أشارت إليه الآيات.

الرواية الأشهر لغزوة بني النضير
التي وقعت في بئر معونة

1- حادث بئر معونة وسبب زبارة النبي ﷺ لبني النضير

● في صفر سنة أربعة من الهجرة ، تجرأ بعض العرب واستباحوا حال المسلمين بعد ضعفهم في غزوة أحد. فوقع حادث بئر معونة حيث غدر قوم وقتلوا سبعين من الصحابة. نجا منهم عمرو بن أمية الضمري ، وفي الطريق أثناء رجوعه إلى المدينة نام تحت شجرة. فمرّ عليه رجلان من بني كلاب (مشركين) فظنهم من قتلة أهل بئر معونة فقتلهم حين كانوا نياماً. لما علم النبي ﷺ تبين أن القتيلين كانا ممن بينهما وبين المسلمين عهد وأمان، فقرر النبي دفع الدية عنهما. ومقتضى المعاهدة بين النبي ﷺ ويهود المدينة كان المتفق عليه التعاون في سداد الديات. لذا توجه النبي إلى ديار بني النضير طالباً مساعدتهم في الدية.

3- حصار النبي لبني النضير و موقف المنافقين

● ثم حاصر النبي بني النضير فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعث محمد بن مسلمة، إلى يهود بني النضير ليلبغهم أن : " لا تسكنوني في المدينة، وقد أجتكم عشراً، فمن وجدته بعد ذلك منكم ضربت عنقه". فلم يجد اليهود مناصاً، فتجهزوا للخروج من المدينة، غير أن رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بعث إليهم أن اثبتوا وتمتعوا ولا تخرجوا من دياركم؛ ووعدهم بأربع آلاف رجل وأحلاف. فأنزل الله سبحانه وتعالى في سورة الحشر: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِأَخْوَاهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُكُمْ فِيمَا أَخَذُوا أَبَدًا وَإِنْ قُوَّتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [الحشر:11]. فعاندوا ورفضوا الاستسلام.

4- نهاية الرواية

● علم النبي ﷺ بنيته على القتال، فسار إليهم مقاتلاً وكان اللواء مع علي بن أبي طالب، حتى وصل وفرض الحصار، فالتجأ اليهود إلى حصونهم، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم، فأمر ﷺ بقطعها وحرقها، إغاضة لليهود، ولتيسر القتال. وهذا ما أشارت إليه الآية: (مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّيْنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْ مَّا فَصَتْهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ). وبعد حصار دام ست ليالٍ أو قيل خمسة عشر ليلة، ولم يأت مدد من المنافقين ولا من غطفان ولا من بني قريظة. وألقي الرعب في قلوبهم واستسلموا. أذن النبي ﷺ لهم أن يحملوا نساءهم وأطفالهم ومتاعهم على ستمائة بعير فقط. كان كل ثلاث بيوت يكتفون ببعير واحد، ولا يحملون أسلحة، ومن حمل سلاحاً قتل. طردوا من المدينة إلى بلاد الشام، فقطعوا مئات الكيلومترات حتى وصلوا إلى أطراف بلاد الشام، بمنطقة تعرف بأذرعات.

الرواية الثانية عن سبب غزوة بني النضير (حصلت بعد غزوة بدر)

2- كشف مكر اليهود وبداية الحصار

● ثم راجعوا أنفسهم وقالوا: "ثلاثين عدد كبير، إن جاؤوا فقد ينصرونه، ولن نقدر على الغدر بهم." فقررروا أن يكونوا ثلاثة فقط. فعاد النبي ﷺ ذلك فرصة طيبة لعلهم يدخلون الإسلام، وهم بالذهاب إليهم. كانت هناك امرأة من بني النضير، أسلم ابن أخيها، فلما علمت بما دبره قومها من غدر، أرسلت إلى ابن أخيها المسلم وأخبرته بما يبيتون لهم من مكر، فبادر هذا الرجل بإخبار النبي ﷺ بما علم. فجمع صلى الله عليه وسلم أصحابه، ثم خرج إلى بني النضير وقال لهم: "إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه." فأبوا أن يعطوه عهداً، فقرر النبي ﷺ محاصرتهم، وبدأ الحصار، ثم جرت القصة كما تقدم.

1- سبب غزوة بني النضير

● كان سببها اتفاقاً بين قريش وبني النضير ضد النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر. كتبت قريش فيها: "إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين نسائكم شيء." فلما وصل الكتاب إلى اليهود قالوا فيما بينهم: "ينبغي أن نقاتل هذا الرجل حتى لا تهجم علينا قريش، فنحن نخشى الدوائر والمصائب." ففكر اليهود في حيلة مكرة، فبعثوا إلى النبي ﷺ وكأنهم يريدون التعرف على الإسلام، وقالوا له: "اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك ويلقاك ثلاثون من علمائنا، في مناظرة، فإن آمنوا بك اتبعناك"

الفرق بين عرض السيرة وعرض القرآن للغزوات

عرض السيرة:

● الأحداث والأعداد والأسباب الظاهرة، وكيف بدأ الحصار، ومتى انتهى، ومن شارك فيه.

عرض القرآن:

● الغزوة من منظور القلوب، فيتحدث عن المشاعر، والصدق، والإيمان، والرعب، وثمرات الابتلاء، ويعرّفك بالله تعالى من خلال الحدث، فلا يركّز على الأجساد، بل على القلوب، وربطها بصفات الله تعالى واسمائه الحسنى.

(الآية 1) :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

١

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

أي نزه الله كل ما في السماوات وما في الأرض.

"سبحان الله" أي: أنزه الله عن كل نقص وعيب وظلم.

وهذا مناسب لغزوة بني النضير، فمن كمال الله تعالى أنه لا يترك الماكرين والمخادعين دون جزاء، ولا يرضى أن يُمكر بنبيه ﷺ دون أن ينتقم له، فالله منزّه عن أن يقرّ الظلم أو أن يُغلب على أمره.

٣

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

الاسمان مناسبان لسياق السورة.

الْعَزِيزُ

أي الذي لا يُغالب، ولا يُقهر، بل هو الغالب على أمره. "لا يُغالب" تعني أنه لا أحد يجزؤه على محاولة مغالبتة.

الْحَكِيمُ

الذي يضع الأمور في مواضعها، فلا يظلم أحداً، ولا يُقضى شيء إلا بحكمة بالغة. فطرد اليهود من المدينة كان بحكمة وعدل لأنهم هم الذين خانوا وغدروا.

(الآية 2) :

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

٣

﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾

تحتمل معنيين

1. القول الأول المكاني:

يشير إلى المكان الذي خرج إليه اليهود عند إخراجهم من المدينة، إلى أذرعات بداية بلاد الشام. وفي آخر الزمان يحشر الناس إلى الشام "أرض المحشر".

2. القول الثاني الزماني:

قد يشير إلى الزمن، أي أول حشر وقع لليهود، ثم قد يحدث حشر آخر لهم أو لغيرهم في آخر الزمان.

3. القول الثالث: زماني، أن الحشر الثاني كان زمن عمر رضي الله عنه، حين أخرجهم من خيبر.

بعض بني النضير استقر في خيبر، والبعض الآخر ذهب إلى الشام. عندما فتح النبي ﷺ خيبر أبقاهم هناك وفق ما يشاء الله، وبقوا حتى زمن عمر رضي الله عنه، الذي أجلاهم إلى الشام، فاعتبر هذا الحشر الثاني لهم. على بناء أن الحشر الأول كان ذهابهم للشام.

١

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾

تأكيد على أن الله هو الذي أخرجهم دون مقاومة منهم.

رغم أن المسلمين هم الذين حاصروا وأخذوا بالأسباب، إلا أن الله نسب النصر والإخراج إلى نفسه، فقال: "هو الذي أخرج" لتربية المؤمنين على التوحيد.

وهذا المعنى مشابه لقوله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فالنتائج كلها بيد الله، ولو بذل الإنسان كل الأسباب، فإن الله وحده هو الذي يُقدّر النتائج ويمنح النصر أو يمنعه.

٢

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

هم اليهود بشكل رئيسي، وهذه الآية دليل على كفرهم، بالإضافة إلى كفر النصارى

نص القرآن على كفر من كذب بالرسول من اليهود والنصارى، ومن مات منهم على الكفر فهو من أهل النار، مخلّد فيها، ولا يجوز الترحم على من مات على الكفر.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ مَانَعَتُهُمْ
حُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾

٥

• ظن بنو النضير أن حصونهم ستحميهم من الهزيمة.

• قدّمت الآية الخبر على المبتدأ لبيان شدة الثقة في قدرة الحصون على المنع، وتظهر قدرة الله على قهر من يشاء.

﴿وَفَذَلَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

٧

• ذلك جنّد غيبي لا يُقهر، لا يطرق الأبواب ولا يحطم الجدران، بل يخترق القلوب مباشرة. ومتى استقر في القلب حُسم الأمر.

• يتلاشى حينها كل حساب مادي، وتنهار إرادة القتال، تتداعى الحصون ويسقط كل اعتماد على الأسباب المادية.

• كما حدث مع يهود بني النضير الذين استسلموا داخل حصونهم المنيعّة دون قتال، رغم عجز المسلمين عن اقتحامها ماديًا.

• نزل اليهود على حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالجملة، وأمرهم برمي السلاح وألا يكون معهم إلا حمل بغير وأن يخرجوا على ستمائة بعير، فتقاسموا كل ثلاث بيوت بعيرًا واحدًا أثناء خروجهم، ملتزمين بأمر النبي ﷺ، في تطبيق دقيق للحكم الإلهي.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾

٩

• المعنى الحرفي هم باشرؤا بأيديهم خراب بيوتهم.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

١١

• الاعتبار: مشتق من كلمة العبور، والعبور يعني الانتقال من مكان أو حالة إلى مكان أو حالة أخرى.

• وبالمعنى المجازي: ، يشير إلى الانتقال من مشهد إلى آخر في تفكير الإنسان وعقله: فالناظر إلى أحداث الماضي، ويرى ما آلت إليه الأمور من عواقب، يستطيع أن يتعلم منها ويستخلص الدروس، فيتجنب الوقوع في مثل مصير الأقوام السابقة.

• الأبصار تعني بصيرة القلب السليم، فالذي يُرزق بصيرة يرى بها عواقب الأمور ويفكر في نتائجها، كما قال الله تعالى: (أَقَلَّمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي: سيروا في الأرض وانظروا نهاية من سبقكم، فاعتبروا يا أصحاب البصائر.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

٤

• ظن الصحابة أن اليهود لن يُخرجوا وأنهم سيخوضون قتالًا مريبًا، بسبب قوتهم وقوة أسلحتهم، فتعجبوا من ذلك

﴿فَأَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْشَسُوا﴾

٦

• يُرَقِّز الإنسان حساباته على عناصر القوة المادية من حصون وأسلحة وخطط، لكن الله تعالى يأتي بما لا يُحتسب.

﴿يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
الْمُؤْمِنِينَ﴾

٨

• يخربون تحمل معنيين معنوي ومادي.

1. المعنى المعنوي:

• يخربون بيوتهم نتيجة نقضهم العهد مع النبي ﷺ ومعصيتهم لله، فالخراب هنا معنوي، كان نقول لشخص يثير المشاكل في بيته: "أنت تخرب بيتك بيدك"، أي فساد البيت وعلاقاته بسبب أفعاله الخاطئة.

2. المعنى المادي:

• تشير الروايات إلى أن بني النضير خربوا بيوتهم ماديًا، وهناك ثلاثة احتمالات:

• الاحتمال الأول: عند كسر المسلمين جزءًا من الحصن، كان اليهود يهدمون جزءًا من بيوتهم لسد الثغرة التي أحدثها المسلمون.

• الاحتمال الثاني: أثناء تقلبهم وحملهم الأشياء على البعير، كانت لديهم مقتنيات ثمينة مثل الأبواب والشبابيك، فكانوا يخلعونها ويكسرونها لنقلها، لتعلقهم بها.

• الاحتمال الثالث: كانوا يخربون بيوتهم وأبوابها وشبابيكها الغالية حتى لا ينتفع بها المسلمون.

﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

١٠

• لا يقصد من أن المؤمنين خربوا البيوت بأنفسهم مباشرة، بل تشير إلى السببية، فهم "اليهود" تسببوا بذلك بسبب نقضهم للعهد أصبح سببًا لتدمير البيوت.

• إذن، بني النضير خربوا بيوتهم بالمباشرة والسببية: مباشرتهم للتدمير بأيديهم، وسببهم في إحضار المؤمنين الذين أحاطوا بهم فتم التخریب.

الاعتبار بسوء الخواثيم

١٢

• كمن يشهد سوء الخاتمة عند الآخرين في الجنازات فلا يتعظ.

• فمثلاً، إذا رأى الإنسان من ضلّ الطريق وساءت خاتمته، ورأى آخر استقام فنال خير الله وفضله، فليعلم أن اتباع طريق الضال لن يغيّر نهايته، فمن عاش على شيء مات عليه.

• ولا بد للإنسان أن يقيس ذلك على نفسه وأن يعتبر مما يرى ويسمع قبل فوات الأوان.

• وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على جواز مشروعية القياس، باعتباره أحد مصادر الاستدلال في الشريعة الإسلامية. (اعتبروا أي قيسوا وتدبروا).

• القياس: هو استنباط حكم شرعي لمسألة جديدة لعلّة موجودة في مسألة أصلية.

• فمثلاً: الخمر محرّم لعلّة السكر. فإذا ظهر شيء آخر مثل المخدرات ووجدت فيه نفس العلة (السكر)، يُحكم عليه بنفس الحكم، أي التحريم. ويُسمى هذا قياس الفرع على الأصل

(الآية 3) :

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾

٢

- الجلاء والنزوح عن الديار هما عذابٌ بحدّ ذاته، لكنّ الآية تشير إلى أنّ العقوبة تتجاوز الجلاء إلى ما هو أشدّ منه، ألا وهو القتل والسبي.
- فالجلاء هو عذابٌ في الدنيا، لكن القتل والسبي أقسى منه.
- وخيرٌ مثال على ذلك ما حدث مع يهود بني قريظة، حيث كان أقتل مصيرهم المُحتم.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾

١

- لو لم يقدّر الله لهم الجلاء مسبقاً في قدره، وهو النزوح والطرده من المدينة إلى الشام، لأهلكهم بالعذاب في الدنيا بالقتل والسبي.
- الجلاء عذاب؛ ذلك لأنّ النزوح يترتب عليه مشقة كبيرة: ترك الديار، أخذ النساء وكبار السن، والسير لمسافات طويلة جدّاً، وحمل الممتلكات على وسائل نقل هالكة، كل ذلك يشكل عذاباً

(الآية 4) :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

المفارقة الأليمة

٢

- لقد كنّا أمةً عزيزةً بدينها، نوّثر في موازين القوى ونحاسب المخالفين، مصداقاً لقول عمر رضي الله عنه:
- «كنّا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله».
- فلما ابتغي العزة في غير دين الله، حلّ بنا ما حلّ من ذلّ وهوان، وأصبحنا نعيش تبعات النزوح والمصائب

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

١

- العلة في ذلك أنهم خالفوا الله ورسوله، وهي الشقاق بعينه، حيث يُصبح العبد في شِقٍّ ودينٍ الله في شِقٍّ آخر.
- وهذا المعنى يتجاوز كونه حادثة تاريخية ليكون قانوناً إلهياً شاملاً وقاعدة عامة للجميع، فالاعتبار هنا أن مخالفة الدين تشمل كل مظاهر المعصية، صغيرة كانت أم كبيرة هي شقاقٌ لله، لأنها خروجٌ عن أمره بغضّ النظر عن كون الفاعل يهودياً أو مسلماً

(الآية 5) :

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾

﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾

٢

- كان رد الله تعالى حاسماً بهذه الآية الكريمة فقد جعل الله الفعل مشروطاً بإذنه الشرعي، وبالإذن الكوني لأنه قد وقع بالفعل، ودافع الله تعالى عن المسلمين و بين أن المقصود إخزاء الفاسقين الغادرين
- لا تسمح لأحد أن يشنع عليك في دينك وبما شرع لك: اعتر بآيمانك، لن يستطيع أحد أن يلقي اللوم عليك فيما أذن الله لك به، لذلك لا تسمح لأحد أن يهجم على شرع الله في حياتك.

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾

١

- كان النخل طويلاً جدّاً مقابل الحصون، فأمر النبي المسلمين بحرق بعض النخل بهدف إغاية اليهود ومنعهم من استخدام النخل في القتال لأنهم كانوا يستترون خلفه.
- اللينة هي النخلة ذات التمر الجيد.

موقف بنو النضير من حرق النخل :

- لقد شنع يهود بني النضير على المسلمين، باتهامهم بالتناقض: قالوا: أتقطعون النخل وتحرقونه وأنتم تزعمون الإصلاح، حاولوا إظهار فعل المسلمين كمخالف لدعوى الإصلاح والصلاح، واتهامهم بالفساد في الأرض

(الآية 6) :

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ

الفاء : يطلق على الظل عندما ينتقل من جهة إلى أخرى.
وفي الاصطلاح: هو المال الذي يؤخذ من الكفار بغير قتال.

﴿وَلَا رِكَابٍ﴾

لم تركبوا الإبل للقتال أو السفر.

(الآية 7) :

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

الفرق بين الغنيمه والفيء

الغنيمه:

هي المال الذي يؤخذ من الكفار بالقتال.
وتقسم إلى: خمسة أخماس أربعة أخماس للمقاتلين، وخمس يُصرف في المصارف الشرعية الخمسة، " لله وللرسول، وذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل".

الفيء :

هو المال الذي يؤخذ من الكفار بغير قتال.
ولا يخصص منه للمقاتلين، لأنهم لم يبذلوا جهداً في أخذه.
يُصرف الفيء كله للمصارف الشرعية الخمسة : لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

الحكمة من توزيع الفيء :

لإغناء هذه الأصناف الخمسة، وتوزيع الأموال وألا تكون محصورة عند الأغنياء، وتحقيق عدالة اجتماعية واقتصادية. منح الفقير مصدر دخل آخر من الفيء (إضافة إلى الزكاة)، المحافظة على مستوى معيشي معتدل للمجتمع وتقليل الفجوة بين الغني والفقير، وقاية المجتمع من الفساد والجرائم والرأسمالية، والبغضاء بين الطبقات.

﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾

ما أسرعتم وبذلتهم جهداً.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾

بتأييد الله.

تشير هذه الآية إلى أن فيء بني النضير كان حالة خاصة للنبي ﷺ، لأنه لم يكن في سياق قتال خارج المدينة، بل داخلها، فكانت أموالهم داخل المدينة ولم يتطلب أخذها سفراً ولا قتالاً.

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾

دولة من التداول: أي لا تكون الأموال متداولة بين الأغنياء فقط.

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

ما آتاكم من الأموال، خذوه وارضوا بقسمته دون اعتراض،
وكذلك ما آتاكم من الأوامر الشرعية.
بدليل قوله تعالى: (وَمَا نَهَاكُمْ) فالحديث ليس عن المال فقط.
فالأمر بأخذ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو أمر قرآني، فخذوا ما أمركم به، وكذلك النهي فانتهاوا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

تحذير من ترك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو فعل ما نهى عنه، أو التقصير في اتباع سنته.

(الآية 8):

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

الفرق بين الفبي والغنيمه

٢

- الغنيمه تُقسم أربعة أخماس للمجاهدين، والخمس المتبقي للأقسام الشرعية الخمسة
- أما الفبي فيوزع كله على مصارفه الخمسة:
- 1- لله والرسول : فكان النبي ﷺ، يأخذ منه ما يكفيه وأهله، ثم ينفق الباقي في مصالح المسلمين.
- 2- لذوي القربى : هم آل النبي من بني هاشم وبني المطلب، عوضهم الله بالفبي لأنهم لا يأخذون من الزكاة.
- 3- اليتامى: من فقد أباه وهو صغير، وغالبًا يكون فقيرًا.
- 4- المساكين: من لا يجد كفايته.
- 5- ابن السبيل: المسافر المنقطع يُعان حتى يرجع ولو كان غنيًا في بلده.
- ولا يُطالب برد المال لأنه استحققه ساعة الأخذ، وهذا من كرم الإسلام.

مرونه توزع الفبي

٤

- لا يُشترط توزيع المال بين فئات الفبي بالتساوي، بل يجوز تغليب فئة على أخرى بحسب الحاجة، فإن كثر المساكين مثلاً ولم يوجد ابن سبيل، جاز صرفه لهم كله. فالأمر راجع لاجتهاد الإمام بما يحقق المصلحة العامة.

﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾

٦

- سمى الله تعالى المهاجرين بهذا اللقب تكريمًا لهم على هجرتهم لله ورسوله ﷺ. قال النبي ﷺ عن مكة: «والله إنك لأحب أرض الله إلي، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

٨

- وهي شهادة وثناء من الله بصدق نياتهم وإخلاصهم، لنصرة الله ونبيه.
- شهد الله سبحانه وتعالى لهم مما يعكس مكانتهم العالية وتضحياتهم العظيمة في سبيل الدين، وصدق نواياهم.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾

١

- أي أن أموال الفبي تصرف لهؤلاء، وهي مرتبطة بالآية السابقة قوله تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ)،
- الفبي: ما أخذه المسلمون من أموال الكفار دون قتال.

الغالبه الانفصاده للفبي

٣

- حتى لا تُحتكر الأموال بين الأغنياء، فيقيم الإسلام توازنًا اقتصاديًا فريدًا؛ فيتوسط يقر التملك الفردي لكنه يُوجب حقًا معلومًا للفقراء.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾

٥

- أي أن أولى الناس بالفبي هم المهاجرون الذين تركوا أموالهم وديارهم لله ورسوله ﷺ، كما في غزوة بني النضير بداية العهد المدني حين كانوا أشد الناس حاجة، لأنهم ضحوا بدمائهم في سبيل الله.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾

٧

- أي أُجبروا على الخروج، بسبب إكراه الكفار لهم، فتركوا المال والديار وتحملوا صعوبات المجهول بإيمان وثقة بالله، ولم يكن هدفهم أي غرض دنيوي

﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

٩

- علو منزلتهم وكمال صدق إيمانهم عند الله.
- المهاجرون هم أولى الناس بمال الفبي كما ذكر سبحانه في الآية.

(الآية 9):

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجَبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿وَالْإِيمَانُ﴾

٢

لها احتمالان في التفسير:

- **الاحتمال الأول:** أن في الآية محذوفاً مقدراً، أي أن المعنى: الذين تبوؤوا الدار والدار والدار، أو اعتقدوا، أو اعتقدوا.
- **الاحتمال الثاني:** أنه لا حذف فيها، والمعنى على ظاهره: أي سكنوها، و"تبوؤوا الإيمان" أي استقر الإيمان في قلوبهم، وهو تعبير بليغ عن قوة إيمان الأنصار وثباتهم عليه إلى الموت، وكأنهم يسكنون في الإيمان كما يسكنون في بيوتهم.

● الثناء على قوة يقينهم.

ثناء الله تعالى على الأنصار

٤

1- (يُحْجَبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)

ثناء على يقين الأنصار ومحبتهم للمهاجرين يظهر صفاء قلوب الأنصار وعظيم خلقهم؛ فقد أحبوا المهاجرين بصدق رغم أنهم شاركوهم في طعامهم وشرابهم، لا لمصلحة أو مجاملة، بل إيماناً وإخاءً.

قدّم الله المحبة على الإيثار لأن المهاجر يحتاج أولاً إلى القبول والمودة قبل المساعدة المادية، فالشعور بالحب والتقدير أعمق أثراً من العطاء.

2- (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا)

صفاء قلوب الأنصار يظهر في خلّوها من الحسد والضيق مما أعطي المهاجرون من فضل وثناء، فقبلوا نصيبهم برضا، وازداد حبهم لإخوانهم مع علمهم بفضلهم عليهم..

3- (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

أي يقدمونهم على أنفسهم في حاجاتهم الأساسية، ويقاسمونهم القليل الذي يملكونه، في أسمى صور الإيثار

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

١

- الذين سكنوا المدينة واستقروا
- أي أن الذين يأخذون من الفيء أيضاً هم الأنصار رضي الله عنهم، الذين استقروا في المدينة والإيمان في قلوبهم قبل قدوم المهاجرين، فجمعوا بين الدار والإيمان قبل اللقاء.
- وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يوزع الفيء على المهاجرين ثم الأنصار ثم التابعين.

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

٣

- أي أن الأنصار جمعوا بين الدار والإيمان قبل المهاجرين، إذ آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة قبل قدومه إليها، وأكثرهم آمن به سماعاً دون أن يراه، مما يدل على سرعة استجابتهم ورقة قلوبهم، ويظهر الفرق بينهم وبين أهل مكة الذين عاشوا معه طويلاً ولم يؤمن أكثرهم.

إسقاط المعنى على الواقع ومرتبة الأنصار

٥

ينبغي للمجتمعات اليوم أن تحيي هذا الخلق في التعامل مع المحتاجين والنازحين، لتكون نموذجاً في الرحمة والاحتواء كما كان الأنصار رضي الله عنهم.

- فلم يبلغ أحد مرتبة الأنصار في المحبة والإيثار: و بدأ الله مدحهم بقوله: (يُحْجَبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)، أي استقبلوا المهاجرين بمحبة صادقة لا مجاملة فيها.

- فقد جمعوا بين كمال المحبة وتعام الإيثار، فكانوا أسمى مثال في البذل والعطاء.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

٦

- أي الحاجة الشديدة أو الفقر.

● وقد فسرها المفسرون بمعنيين:

المعنى الأول: أن معناها الاختصاص أو التفرد، أي أن الإنسان في حالة احتياج فريدة لا يشبهه أحد في هذا الضيق. **والمعنى الثاني:** أطلقه العرب على المسافات الضيقة بين جريد النخل، والتي كانت تسمى "خصاصة"، ثم أطلقت على الفقر الشديد.

- **معنى الآية** هو أن الأنصار كانوا يقدمون المهاجرين على أنفسهم حتى في أشد حالات الحاجة والفقر، يقاسمونهم طعامهم وشرابهم القليل ويقدمون مصالحهم على مصالحهم الخاصة.

موافف من حياة
الأنصار في الإيثار

٧

يروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ محتاجاً، فأرسل عليه الصلاة والسلام إلى نسائه يسأل عن الطعام، فلم يكن لديهن إلا الماء، فقام رجل من الأنصار باستضافة الضيف وأمر زوجته بإكرام ضيف رسول الله وإعداد الطعام ولو بالكاد يكفي الأسرة، وأعدوا له السراج وأطفأوا ضوءه، وأظهروا أنهم يأكلون، بينما الضيف هو الذي أكل وحده. وعندما علم النبي ﷺ بذلك، أخبره الوحي فقال: "لقد ضحك الله الليلة أو أعجب الله بصنيعكما"، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

موقف سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف: آخى النبي ﷺ بينهما، وكان سعد أغنى الأنصار، وعرض نصف ماله على عبد الرحمن، لكنه رفض وأراد أن يتكسب بنفسه ويعمل، محافظاً على العفة والوسطية.

يظهر هذا أن الإيثار لا يتعارض مع الكرامة والعفة، وأنه أعظم عندما يكون قائماً على رغبة صادقة في خدمة الآخرين.

الإيثار والكرم في مواجهة الشح

٩

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصدقة جهد المقل". لما يكون معك القليل. وقال أيضاً: "سبق درهم ألف درهم". و يبلغ الإيثار قمته حين يقدم المرء غيره على نفسه وهو في حاجة إلى ما يؤثر به، فيمنح رغم قلة ما عنده واحتياجه الشديد.

المقصود بالشح والفرق بينه وبين البخل:

١١

الاحتمال الأول: إن الشح أشد من البخل؛ فالبخل يبخل بما في يده فقط، أما الشح يبخل بما في يده ويطمع فيما في أيدي الناس. وقيل: الشح هو بخل مع حرص، أي أن الإنسان يخرج المال وهو كاره. وقيل: الشح أن تبخل على نفسك وعلى غيرك معاً، أما البخل أن تبخل على غيرك. وقيل: الشح هو أخذ أموال الناس بغير حق، أي أنه لا يكتفي بعدم أداء ما عليه، بل يعتدي على حقوق الآخرين، أما البخل هو الإمساك عن الحق الواجب.

قال ﷺ: "إياكم والشح، فإنما أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا".

الإيثار يكون في أمور الدنيا فقط، لا في أمور الآخرة

٨

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤثر أحدكم في الصنف الأول". الإيثار في الدنيا هو أن تقدم أخيك في الأمور الدنيوية من مال أو طعام أو حاجته، أما في الطاعات وأمر الآخرة فالأجر لمن سبق.

من الأمثلة على ذلك قصة سعد بن خيثمة مع أبيه يوم بدر، حيث اقتربا أيهما يخرج، فخرج سعد وقتل شهيداً رضي الله عنه.

﴿وَمَنْ يُؤْتَ شَيْئًا فَلْيَسِّرْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

١٠

أي من حفظ من شر الشح فقد فاز ونجا

تغير الأنصار بالقرآن

١٢

كان الأنصار قبل الإسلام غارقين في العصبية، خاضوا حروباً طويلة بين الأوس والخزرج دامت أربعين سنة بسبب ناقة، حتى جاء الإسلام فطهر قلوبهم، فأصبحوا يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كانوا في حاجة. وهذا هو أثر القرآن في النفوس. فمن لم يتغير بالقرآن، فالقرآن حجة عليه.

ملأته الأنصار وتناء النبي ﷺ عليهم

١٣

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله".

وقال أيضاً: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار".

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الأنصار شعاع، والناس دثار، لو سلك الناس فجاً وسلك الأنصار فجاً لسلك فج الأنصار، لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار.

(الآية 10):

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

علامات الإيمان بعد جبل الصحابة
من المهاجرين والأنصار

٢

1. حبّ المهاجرين والأنصار.
2. الدعاء لهم بالمغفرة.
3. سلامة القلب تجاههم.

الفنّد بين الصحابة بعد مقتل
عثمان رضي الله عنه

٤

- فبعد مقتله وقعت الفتنة بين الصحابة، مثل واقعة الجمل بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والسيدة عائشة رضي الله عنها، وكان فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهم.
- اختلافهم كان في مسألة اجتهادية: هل يقتص من قتلة عثمان أولًا، أم يُبايع علي أولًا؟ فتسلل المنافقون وأشعلوا الفتنة حتى وصلت إلى القتال، فقتل الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، ثم تكرر الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ووقع القتال.
- ورغم الفتنة، بقيت القلوب سليمة: فقد بكى علي على طلحة والزبير، وعاد بالسيدة عائشة إلى المدينة مكرمة بعد حادثة الجمل.

الصحابة كلهم في الجنة

٦

بدليل قول الله تعالى:
(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ
مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا يَسَبُوتُ مِنْكُمْ
مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلَيْكَ
أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ). (الحديد : 10)

درجات الناس في الغل

٨

- من لا يزول غلّه أبدًا، وهو من أسوأ الناس .
- من يحتاج وقتًا وجهدًا ليصفو قلبه .
- من يُسامح سريعًا وهو أفضلهم .
- مخموم القلب:
- قال النبي صلى الله عليه وسلم: «التقي النقي مخموم القلب صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا غلّ فيه ولا حسد».
- سلامة القلب أقصر طريق إلى الجنة.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

١

- أي كل من جاء بعدهم إلى يوم القيامة، بشرط أن يتبعوهم بإحسان.

الرد على الشيعة في طعنهم
بالصحابه

٣

- تُظهر هذه الآية بطلان مذهب الشيعة: لأنهم يبنون عقيدتهم على الطعن في المهاجرين والأنصار إلا من كان من أهل البيت، مع أن الله أمر بالدعاء للصحابة بالمغفرة، فدل على أنهم ماتوا على الإيمان والدعاء بالمغفرة لا يكون إلا للمؤمن، لقوله تعالى: (مَا كَانَ لِلْبَيْتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (التوبة: 113)
- فمن أمر الله بالدعاء له بالمغفرة فهو مؤمن، وهذا ينقض زعمهم بأن الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.
- وكل الصحابة ماتوا على الخير، قد رضي الله عنهم كما قال تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...) (الفتح: 18)
- فكيف يُتهم من رضي الله عنهم بالكفر أو الردة؟

منهج أهل السنة من الفنّد
بين الصحابة

٥

- أولًا: السكوت عما شجر بينهم، فلا نخوض في تفاصيلها إلا لردّ الشبهات.
- ثانيًا: سلامة الصدر تجاه جميع الصحابة شرط الإيمان، وعلامة أهل الإيمان.

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا..﴾

٧

- الغِلّ يعني الحقد والتحامل على الآخرين، وهو ثقل على النفس، ومن نعم الله على العبد أن يطهر قلبه منه، وذلك من نعيم الجنة.

من صفات أهل الإيمان الدعاء
لإخوانهم

٩

- كانت أم الدرداء تقول:
لقد كان أبو الدرداء يدعو كل ليلة لثلاثمائة وستين من أصحابه. فقالت له: ألا تدعو لنفسك؟ فقال: «إني أحب أن يقول لي الملك: ولك بالمثل».
- وكان الإمام أحمد يدعو كل ليلة لشيوخه، ومنهم الإمام الشافعي.

(الآية 11):

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

أنواع الأخوة في القرآن

٢

1. أخوة النسب:
(يوسف:7) (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ).
2. أخوة القبيلة أو البلد:
(وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا). (الأعراف:65)
3. أخوة الدين:
(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَتُكُمْ فِي الدِّينِ) (التوبة:11)

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾

١

- فالمؤمن أخو المؤمن، والمنافقون إخوان اليهود.

﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

٣

- والمقصود هنا أخوة العقيدة الفاسدة، فالمنافقون ويهود بني النضير ملّة واحدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾

٤

- المقصود نفاق عبد الله بن أبي بن سلول وجماعته:
حيث وعدوا بني النضير بأنهم سينصرونهم، ثبتهم ووعدهم قائلًا لهم: سنأتيكم بغطفان وأربعة آلاف مقاتل، ولن نطيع النبي ﷺ فيكم أبدًا، ولو قُوتِلْتُمْ لقاتلنا معكم.

﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ..﴾

٥

- أي لن نطيع النبي صلى الله عليه وسلم مهما أمرنا فيكم.

من فوائد الآية الكرّيمه

٧

- حرص المنافقين على بقاء اليهود؛ إذ إنّ بقاء المنافقين مرتبط ببقاء الكفار.
- خافوا أن تكون الدولة لهم، فالمنافقون يظهرون ولاعهم للكفار ليكسبوا رضاهم ويأمنوا شرهم.

﴿وَاللَّهُ بِشَهَادَتِهِمْ لَكَذِبُونَ﴾

٦

- الأخوة الكاذبة في موقف المنافق مع اليهودي، يختلف عن الأخوة الصادقة وموقف الأنصار مع المهاجرين. فالأخوة المبنية على عقيدة صحيحة تُثمر أفعالًا صادقة، أما الأخوة المبنية على عقيدة فاسدة فتثمر وعودًا كاذبة.

﴿وَاللَّهُ بِشَهَادَتِهِمْ لَكَذِبُونَ﴾

٨

- علم الله شامل يعلم كل شيء: ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

(الآية 12):

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأْذْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾

﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾

٢

- لم تقم لأنهم لم يقاتلوا، فلو وقع القتال ما قاتلهم.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾

١

- علم الله ما سيكون.

﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأْذْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾

٣

- حتى لو وقع القتال، فإن الله يبيّن أن المنافقين لن يقاتلوا بإخلاص، لأن الجبن جزء من طبيعتهم، فلا يواجهون المؤمنين صراحةً، ولا يظهرون كفرهم العميق. فאלله علم ما في قلوبهم وأخبرنا بذلك، مبينًا حقيقتهم قبل وقوع الأحداث.

(الآية 13):

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

٢

- الفقه هو الفهم.
- الفقيه يعلم أن كل الأمور بيد الله، فيقدم رضا الله على رضا الناس، أما المنافق يقدم رضا الناس على رضا الله، لجهله بحكمة الله وقدرته.
- من يفقه أمر الله يخافه ولا يخاف البشر، ويوازن الأمور بحسب مشيئته.
- كل المصير، الملك، الرزق والحساب بيد الله وحده.

﴿لَأَنْتُمْ﴾

١

- الصحابة خاصة، والعموم يشمل كل المؤمنين المتقين.
- الرهبة: الخوف مع التعظيم، أي الخشية المقرونة بالإجلال لقوة المؤمنين.
- الصحابة كانوا يفرضون رهبة على خصومهم: سيدنا خالد بن الوليد حاصر حصناً وقال للعدو: "أنتيتم تقومون بالموت كما تحبون الحياة"، فاستسلموا فوراً.

(الآية 14):

﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾

﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾

٢

- شدة العداوة والخصومة بينهم فهم دائماً مختلفين مع بعضهم البعض، ويظهرون الرجولة والقوة أمام بعضهم البعض، لكن عند مواجهة المؤمنين يهارون ويظهر جنهم

﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾

١

- جميعاً: أما المنافقين وهدمهم، أو المنافقين مع اليهود
- فهم لا يستطيعون مواجهة المؤمنين وجهًا لوجه، بل يقاتلون من وراء جُدُرٍ أَوْ قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ، وليس بالمواجهة المباشرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾

٤

- العاقل يدرك أن الاجتماع قوة والفرقة هزيمة، فيختار وحدة الصف لأنها طريق النصر على الأعداء.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾

٣

- هم متفرقون، ولا يجتمعون إلا على عداوة المسلمين، وعند مواجهة المؤمنين يهارون ويظهر جنهم.
- فلا عقيدة ثابتة، كل تحركاتهم صادرة عن دوافع دنيوية، على عكس المسلمين الذين يجتمعون على عقيدة راسخة.

(الآية 15):

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾

١

- سيقع لأعداء المسلمين اليوم ما وقع لمن سبقهم من الكفار.
- قيل ذلك بنو قينقاع، الذين كشفوا عورة امرأة وقتلوا مسلماً فطردهم النبي صلى الله عليه وسلم.
- وقيل كذلك الكفار في بدر، حيث لاقوا الهزيمة نتيجة أفعالهم.
- لذلك، يجب التعلم من هذه الأحداث، فالآيات تُذكر بعاقبة الظالمين والغافلين وتحض على التدبر والعمل.

الغاية من المدارس

١

الغاية من مدارسنا أن نحفظ ونتدبر، فالسور في جزء "قد سمع" تحتاج مجاهدة في الحفظ، ولكن الفهم يسهل الحفظ كثيراً.

تُصوّر الآيات مكر الشيطان بالإنسان، إذ يغريه بالكفر ثم يتبرأ منه، كما فعل المنافقون مع يهود بني النضير حين وعدوهم بالنصرة ثم خذلوهم، فصاروا مثل الشيطان مع الإنسان في الخداع والغدر.

(الآية 16):

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

خاتم السورة

٢

وختمت السورة بالتنبيه على وجوب الاستعداد للآخرة، وتقديمها على الدنيا، وأن لا يكون الإنسان من الغافلين الذين نسوا الله ففسدوا أنفسهم، فالفوز الحقيقي لأصحاب الجنة.

كما أوضحت أن سبيل النجاة هو تدبر القرآن والخشوع له، لأن من عرف الله حق المعرفة وخشع لكلامه رقى قلبه، لأن القلب إذا خضع للوحي خشع وتصدع من خشية الله، ومن لم يتأثر به فذلك دليل على قسوة قلبه. ولذلك ختمت السورة بذكر أسماء الله الحسنى لتغرس الإيمان والخشية في القلوب.

كلمة "كَمَثَلِ"

١

"كَمَثَلِ" جاءت لتبين أن ما فعله المنافقون باليهود هو مثل ما يفعله الشيطان بالإنسان؛ يومه ويمنيه ويعدده، حتى إذا وقع في المعصية تبرأ منه.

وهذا تماماً ما فعله المنافقون حين وعدوا اليهود بالنصرة ثم خذلوهم، كما قال تعالى: (لَتَنُؤُاْخِرُواْ لَّا يَخْرُجُوْنَ مَعَهُمْ وَلَتَنُؤُاْخِرُواْ لَّا يَنْصُرُوهُمْ وَلَتَنُؤُاْخِرُواْ لَّا تَذُبُّوْهُمْ لَّا يَنْصُرُوْنَ) (الحشر: 12)

وفعلًا، حدث ما وُعد به؛ إذ تعهد عبد الله بن أبي بن سلول لليهود أن يمدّهم بجيش من غطفان قوامه أربعة آلاف مقاتل، لكنه لم يف بوعده، وتخلّى عنهم وقت الشدة، حتى إنه كان يوم خروجهم منشغلاً بالأكل غير مبالي بمصيرهم.

فالله تعالى شبه هذا الموقف بموقف الشيطان الذي يغري الإنسان بالكفر ثم يتبرأ منه.

استخدام الإسرائيليات في التفسير
ومعنى ذكر سبب النزول

٣

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

وهذا ما يُسقيه العلماء استعمال الإسرائيليات في التفسير، أي نقل أخبار من أهل الكتاب ما دامت لا تخالف القرآن والسنة، وتذكر للعة لا لإثبات سبب نزول قطعي

فالسلف حين ذكروا قصة برصيصا العابد لم يقصدوا أن الآية نزلت بسببه، بل أرادوا أنها تنطبق على حاله، فقولهم "نزلت في فلان" يعني أنها تشبه موقفه وتصف حاله، لا أنها سبب النزول.

﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ﴾

٢

تأتي كلمة "الإنسن" هنا على وجهين في التفسير:

القول الأول أن (أل) هي أل الجنس، أي أن المراد بها جنس الإنسان كله؛ فالشيطان يقول لكل إنسان على وجه الإغراء والمعصية: "اكفر"، بمعنى ادخل في طاعته ومعصية الله.

وهذا هو القول الأرجح والأقرب، لأن الشيطان يعمل هذه الحيلة مع جميع بني آدم.

فالشيطان يزّين للناس المعاصي ويغريهم بالألواني، ثم يتبرأ منهم إذا هلكوا، ويعلم ذلك يوم القيامة. وهذه من أشد لحظات العذاب في النار؛ حين يخطب الشيطان في أتباعه متبرئاً منهم بعد أن أهلكهم.

القول الثاني (أل) للعهد:

أي تشير إلى إنسان معلوم معهود في الذهن.

وقد ورد عن أغلب السلف كابن عباس وابن مسعود وبعض التابعين كقتادة أنهم ربطوا الآية بقصة وردت في كتب بني إسرائيل، وهي قصة برصيصا العابد.

قاعدة في تفسير القرآن

٤

سبب نزول الآية يكون بعد الحدث مباشرة ومقارب لها.

كما قالوا عن قوله تعالى: (وَإِثْنٌ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ آتَيْنَا فَأَنْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الأعراف: 175) أنه نزلت في بلعام بن باعوراء، أو في أمية بن أبي الصلت، "وكلاهما ينطبق عليه الوصف" لا أنه سبب النزول.

فصّة برصها العابد كما
وردت في الإسرائيليات :

٥

2- مكر الشيطان وخداعه:

- فلما رجع إخوة المرأة من غزوتهم، سألوا عنها فقال: "مرضت ثم ماتت"، فصّدّقوه لما رأوا صلاحه. لكن الشيطان جاءهم في المنام جميعاً وقال: "إن أختكم لم تمت، بل قُتلت، وهي مدفونة في موضع كذا". فلما استيقظوا وحكى كلّ منهم للأخ المنام، عرفوا أن الرؤيا واحدة، فذهبوا إلى الموضع فوجدوا القبر والجثة. فأخذوا العابد ليقتلوه، فجاءه الشيطان في تلك اللحظة وقال: "أنا الذي أوقعتك فيما ترى، وأنا القادر على خلاصك، فاسجد لي سجدة واحدة وسأنجيك". فسجد له، فقبضت روحه وهو ساجد للشيطان، فمات على الكفر.
- هذا هو منهج الشيطان مع الإنسان دائماً: لا يبدأ بالكبيرة، بل يخدع الإنسان بالتدريج، حتى يقع في الفخ.
- ولهذا قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) (النور: 21) وفي موضع آخر: (قَالَ فَبِعَرَّتِكَ لَأُعَوِّتَهُمْ أَجْمَعِينَ) (ص : 82)

رسالة للشباب

٦

- 3. لا تقل "أنا ضحية"، فكل إنسان مسؤول عن اختياره، والشيطان لا يبدأ بالمعصية مباشرة، بل بخطوات تبدو بريئة حتى يسقط الإنسان دون أن يشعر.
- 4. غاية الشيطان ليست المعصية ذاتها، بل إضلال الإنسان تدريجياً؛ فببدأ بخطوات تبدو بريئة كنصيحة أو عمل خيري أو تواصل بريء حتى يوقعه في الفخ دون أن يشعر.

(الآية 18):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

الطريق للنجاة من مكر الشيطان

١

- 1. محاسبة النفس أولاً بأول: احرص على مراجعة نفسك عند كل خطوة: هل ترضي الله أم تغضبه؟ وإذا وجدت خطأ، عد فوراً إلى التوبة ولا تؤجلها.
- قال الإمام الشافعي: "إن لله عبداً فطناً، طلقوا الدنيا وخافوا الفتن، فجعلوها لجةً، واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً".
- 2. تقوى الله: (اتَّقُوا اللَّهَ) خاطب الله تعالى المؤمنين مرتين في الآية نفسها بـ "اتَّقُوا اللَّهَ" اجعل بينك وبين الله وقاية بفعل الطاعات وترك المنكرات واجتناب معصيته.
- لأن التقوى هي رأس كل فضيلة، وهي التي تحفظ القلب من الانزلاق في طريق الشيطان.

1- بداية الرواية:

- يُروى أنه كان في بني إسرائيل عابد يُدعى برصيصا، وكان له شأن في العبادة، فأتاه أربعة إخوة من اليهود كانت لهم أخت جميلة، وكانوا خارجين للغزو، فقالوا له: "يا عابد الله، إن لنا أختاً لا نأمن عليها، فهل تقبل أن تبقى عندك حتى نعود؟" فقال: "لا يصلح أن تبيت امرأة عندي في صومعتي". فقالوا: "نبني لها بيتاً قريباً من صومعتك، ونوصيك بطعامها وشرابها فقط". فوافق بعد تردد. وفي البداية كان يضع طعامها على باب صومعته وهي تأتي لتأخذه دون كلام. ثم جاءه الشيطان وقال له: "هذه المرأة تخرج كل يوم أمام الناس، وقد يؤذيها أحد، لو وضعت الطعام على باب بيتها لكان أستر لها". ففعل، وكانت تلك الخطوة الأولى. ثم وسوس له الشيطان قائلاً: "ما دمت توصل الطعام إليها، سلّم عليها وسلّ قلبها، فهي وحيدة قد تستوحش". فصار يسألها من وراء الباب: "كيف حالك؟ أراك بخير؟" ثم محادثات أطول، حتى جلس يحدثها من داخل البيت. ثم وقع في الزنا بها، فحملت منه، فخشي أن يفتضح أمره، فقتلها ودفنها سرّاً.

- 1. خطوات الشيطان تبدأ بما يبدو خيراً! يزيّن للإنسان الطريق بأمنيات كاذبة كالحب أو المكسب، حتى يوقعه في المعصية ثم يتبرأ منه وتركه نادماً. فالعاقل يميّز الفخ من بدايته، ويفرق بين النصيحة الصادقة وخداع الشيطان المتزيّن بثوب الخير.
- 2. لا تصدق الكلام دون الأفعال من يدعي التقوى تُكشِف حقيقته بأفعاله لا بكلماته؛ فالشيطان قال: (إِنَّ أَخَافَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (الحشر: 16) وهو الذي عصي! فلا تصدق من يخالف شرع الله باسم المودة أو النية الطيبة، فذلك باب من أبواب الفتنة.

(الآية 17):

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاُ الظَّالِمِينَ﴾

- نال الشيطان والإنسان جزاءهما العادل؛ لأن الإنسان اختار طريق الضلال بإرادته، فكلاهما في النار، وفي ذلك بيانٌ لعدل الله الذي لا يجازي أحداً بغير عمله.
- هدف الشيطان ليس مجرد الزلة، بل إبعاد الإنسان عن الله وتبديل قلبه، ويخطط طويلاً ليُفسد الإيمان خطوة بخطوة، حتى يصل للكفر..

٢

﴿وَلَنَنْظُرَ نَفْسًا مَّا فَرَمَتْ لِغَدٍ﴾

● غد أي يوم القيامة، وسماه "غداً" إشارة إلى قربهِ الشَّدِيد. وهو أمرٌ بالمحاسبة الدقيقة للنفس، أن تنظر ماذا أعدت ليوم القيامة، فاليوم حياة، وغداً موت، وبعده حساب، وكأن الآخرة غد الإنسان الحقيقي، العاقل يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويزن أعماله بميزان الآخرة قبل أن تكتب في صحيفته.

● قال قتادة: "ما زال ريكُم يقرب الساعة حتى جعلها كغد."

● إنَّ الله تعالى استخدم كلمة "غد" ليوَقِّظ فينا الشعور بقرب الآخرة، فالمؤمن لا يرى الدنيا إلا محطة عابرة.

● قال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك. إذا، "غد" ليست بعيدة، بل هي أقرب من طرفة عين؛ فكل نفس يُزْهَق، وكل عمر يُقْضَى، يقربنا خطوة إلى ذلك الغد الموعود.

● هذا الإدراك بحقيقة الدنيا يخلق شعورين: الخوف من قصر الزمن وسرعة الحساب. التحفيز على اغتنام كل لحظة في الطاعة والعمل الصالح.

● يقول ابن القيم: من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر. ومن عرف طبيعة الطريق تأهب للسفر.

(الآية 19):

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ

١

● النسيان هو الذهول عن الشيء، أو بمعنى الترك، وهو المقصود في الآية الكريمة، إذ تصوّر حال من ترك ذكر الله وأعرض عن طاعته حتى نسي نفسه.

● نسيان الله يعني ترك أوامره والإعراض عن ذكره، فجَزَّاه الله بأن أنساه نفسه؛ فحرمه رحمته وتوفيقه ورعايته.

● فيصبح غافلاً عن مصلحته وخلصه، منغمساً في شهوات الدنيا، بلا صلاة أو عبادة أو طاعة، يعمل بما يضره ويهلك نفسه، حتى يفاجئه الموت وهو في غفلة تامة.

٣

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

● فسقت الحبة يعني خرجت.

● الفاسيقون: أي الخارجون عن طاعة الله، الذين فسدت قلوبهم فلم يعودوا يشعرون بخطر المعصية أو بثقل الذنب.

● قال ابن القيم رحمه الله: عقوبة نسيان الله أن يُنْسِيكَ نفسك، فتَهْمَلها وتُورِدها موارد الهلاك، فلا تنتفع بعقل ولا بعظة.

محاسبة النفس

٣

● حاسب نفسك كل نصف يوم: أذكارك، أقوالك، أفعالك، صلاتك، واجباتك، وهل كانت خطواتك صالحة أم خبيثة. المحاسبة اليومية تحافظ على سير حياتك على الطريق الصحيح، وإلا قد تفاجأ عند الموت بأنك أهملت كل شيء.

● إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتهيأوا للعرض الأكبر على الله."

٤

﴿وَأَنفِقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

● الله يعلم ما في القلوب والسرائر؛ لا يكفي المظاهر أو الكلام، فهو خير بصادق الأعمال والمتظاهرين، والله مُطَّلِع على كل حال لك، لا يُخدع.

عقوبة نسيان الله

٢

● إن أعظم عقوبة ينالها من نسي ربه أن يُنْسِيه الله نفسه، فيُهْمَلها ويقودها إلى موارد الهلاك. فلا ينتفع بعقل يهديه، ولا بعظة توقظه، فيعيش تائهاً في غفلةٍ ولهوٍ وشهواتٍ، كأنما خُلِقَ للدنيا وحدها.

● وهذا حال كثير من الناس اليوم: تغشاهم الهوم وتلاحقهم المشاكل واضطرابات الحياة، ويشكون قلة التوفيق، فيظنون أن ما أصابهم حسدٌ أو سحر، وما هو إلا أثرُ بُعْدِهِم عن الله ونسيانهم له.

● لقد صارت بيوتهم مأوى للشيطان بعدما خلت من ذكر الرحمن، ولا صلاح لهم إلا بالتوبة الصادقة، والعودة إلى ربهم الذي يذكره تطمئن القلوب وتنصلح الأحوال فاحذر الغفلة.

(الآية 20):

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

لَا يَسْتَوِي

تركبت الآية تقدير الاستواء مفتوحًا، غير محدد، وهذا من جمال القرآن، فهو يترك مجالًا للتدبر.

قال الحسن البصري رحمه الله:

من لم يعمل للجنة لم يدخلها، ومن لم يتق النار لم ينج منها.

ولهذا ختم الله الآية بقوله: (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)

(الآية 21):

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

الآية تحمل العتاب، لو نزل القرآن على جبل،

لتصدعت صخوره خشية لله،

الجبال اعتذرت عن التكليف، (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

جَهُولًا) (الأحزاب : 72)

فقلب الإنسان المكلف أولى أن يخشع القلب عند

سماع القرآن، فلا يكون صلبًا أو قاسيًا كالجبال

الصماء.

بعض القلوب في قسوتها كالحجارة أو أشد قسوة

من الحجارة: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ

كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ

مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَتَّقِفُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: 74)

أساس التعامل مع القرآن
الكرام أن ننأثر به

المبدأ الأساسي هو أن تستمع إلى القرآن بقلب متفاعل، متأملًا أثره في نفسي وتغيّره في سلوكي وروحي. فلا اعتاد تلاوة الآيات دون تدبر أو تطبيق، بل أجعلها تزيدني إيمانًا وخشية وخشوعًا لله.

قال تعالى: (وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (التوبة: 124)

تركبت الآية تقدير الاستواء مفتوحًا

أولًا لا يستوون في العقيدة: أصحاب الجنة مؤمنون بالله ورسله واليوم الآخر والقدر، وأصحاب النار يكفرون بالله ويعبدون الباطل.

ثانيًا لا يستوون في العمل: أعمال أصحاب الجنة صالحة من صلاة وصيام وبر وإحسان وعدل، بينما أعمال أصحاب النار فاسدة ومنكرة.

ثالثًا لا يستوون في حالهم في الدنيا: المؤمن يعيش حياة طيبة رغم الابتلاءات، ويعيش في أنيس وسكينة وراحة قلب، أما الكافر فيعاني ضنكًا وشقاءً.

رابعًا لا يستوون في الخواتيم: المؤمن ينتهي بخاتمة السعادة، والكافر بخاتمة الشقاء. (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (سورة الجاثية: 21)
(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (ص: 28)

خامسًا لا يستوون عند نزع الروح: تأتي ملائكة طيبة لتبشر المؤمن بالجنة، فتخرج روحه بسلاسة وراحة، بينما الكافر تأتيه ملائكة سوداء تنزع روحه بعذاب شديد.

سادسًا لا يستوون في القبر: قبر المؤمن واسع منير، جليسه عمله الصالح، وقبر الكافر ضيق مظلم، يطبق على أضلاعه، وجليسه عمله الخبيث.

سابعًا لا يستوون عند البعث: المؤمن يُستقبل بالسلام والكرامة والملائكة الكرام، والكافر يُستقبل بالعذاب والإهانة. ولا يستوون في أرض المحشر، عند الميزان والصراط، وتطابير الصحف، ولا في المال.

ثامنًا لا يستوون في الاختيار: المكاسب الدنيوية قليلة وزائلة، أما المكسب الحقيقي فهو لأهل الجنة. القرار الآن يعود لك، الالتزام بطاعة الله وترك المعاصي.

(الآية 22):

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

٢ ما عَصَى اللَّهَ إِلَّا بِالْجَهْلِ

سأل النبي ﷺ رجلاً: كم إلهاً تعبد ، فأجاب الرجل: "سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء". فقال صلى الله عليه وسلم بعدها: "فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟"، أي من الذي تلجأ إليه عند حاجتك وخوفك. فأجاب الرجل: "الذي في السماء". فقال ﷺ: "فاعبد الذي في السماء".

الله وحده هو الإله الحق، وكل ما سواه باطل.

٤ (وَالشَّهَادَةِ)

والله يعلم كل أعمال الإنسان ويشاهدها كلها، مما يساعد الإنسان على محاسبة نفسه والمراقبة والاستقامة.

٦ من وجوه عنايته "الرحيم" بأهل الإيمان

يعتني الله تعالى بأهل الإيمان اعتناءً خاصاً يتجلى في:

1. **الهداية:** لا يقتصر فضله على مجرد بيان الطريق، بل يهديهم إلى الصراط المستقيم ويوفقهم للسير عليه، ثم يثبتهم عليه حتى الممات.
 2. **العناية بالخواتيم:** يتولى سبحانه حسناتهم في خواتيم أعمالهم، ويخصهم برحمته يوم القيامة، وهي رحمة مخصوصة لأهل الإيمان، لا ينالها الكافر.
 3. **المغفرة:** يغفر لهم سيئاتهم ويرفع درجاتهم في الجنة.
 4. **الشفاعة:** يخصصهم بشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك من تمام رحمته بهم.
- فالرحمن اسمٌ يشمل جميع الخلق برحمته، وأما الرحيم فهو خاص بأهل الإيمان.

٢ (الْقُدُّوسُ)

هو الله المنزه عن كل نقص وعيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المتقدس المطهر من كل نقص.

١ (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)

أي لامعبود بحق إلا الله، المستحق وحده للعبادة والطاعة، فكل الآلهة باطلة.

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (الحشر: 13)
فلو فقهوا لعلموا قدر الله، ولو عرفوا قدر الله ما قدموا رضا الناس.

المعاصي تنشأ لسببين: إما جهل الإنسان بقدر الله، أو جهله بنفسه. وكلما زاد الإنسان معرفةً بالله ومعرفةً بنفسه، زادت استقامته وصلاحه.

٣ (عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)

علم الغيب صفة لا تكون إلا لله عز وجل. (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْعَثُونَ) (النمل: 65)
الغيب: هو ما غاب عنك، فمن يعلم الغيب ويحيط بكل شيء، فهو وحده المستحق للعبادة.

٥ (هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)

شمول الرحمة
الله وصف نفسه بالرحمن الرحيم، وهما صفتان مترابطتان:
الرحمن: على وزن "فعلان" شمول الرحمة لكل الخلق، مؤمنهم وكافرهم، بارهم وفاجرهم، فالله رحم الجميع عافى الكفار، رزقهم، وسهل أمورهم، وعرف الناس بنفسه وأنزل الكتب وأرسل الرسل ويسر لهم الدين والسبيل إليه.
صفة الرحمن أوسع من صفة الرحيم. والرحيم صفة أخص.

الرحيم: صفة تختص بالمؤمنين، فهم مستفيدون من توجيه الله ورضاه وبركته أكثر من غيرهم.

(الآية 23):

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

١ (الْمَلِكُ)

هو الله الذي يملك جميع خلقه وله السلطان عليهم، يحكم بما يشاء، وله وحده الاستحقاق في العبادة.

﴿السَّلَامُ﴾

٣

فيها عدة أقوال:

- القول الأول: إن السلام هو الذي سَلِمَ من كل نقص وعيب، فيكون كالقدوس تمامًا.
- وقيل: السلام هو الذي سَلِمَ عباده المؤمنين، أي رزقهم السلام، فيدافع عنهم ويحميهم، ويؤمنهم
- وقيل: السلام هو الذي سَلِمَ جميع خلقه من الظلم، فأمنهم أن يظلمهم، فقال تعالى: (وَمَا رَأَيْتُكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ). (فصلت : 46)، وفي الحديث القدسي: "إني حرمت الظلم على نفسي".

﴿الْمُهَيِّمُنُ﴾

٥

للمهيمن معنيان:

- المعنى الأول: أي الشهيد، فالمهيمن هو الشهيد الذي يشهد ويراقب، وهذا يعطينا معنى الآية: (وَلَتَنْظُرَنَّهُمْ مَّا قَدَّمَتْ يَدَايَ). (الحشر: 18)
- المعنى الثاني: المهيمن بمعنى الحاكم على عباده، وهو الذي يحكم ما يشاء.
- أي شاهد على ما فيه، يميز الصدق من الكذب.

﴿الْجَبَّارُ﴾

٧

وفيها معنيان:

- المعنى الأول: من الجبروت، أي الذي قهر الظالمين وينتقم من الظالمين.
- المعنى الثاني: الجبار من جبر الكسر، أي الذي يُصلح المكسور ويعطيه القوة، فينزل السكينة على قلب المكسور، كما في قصة لوط عليه السلام: (يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ). (هود: 81)

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

٩

أي هو منزّه عن أن يكون له شريك.

(الآية 24):

هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

١

- (الْخَلِيقُ): هو المقدر، أي الذي صمّم الشيء قبل أن يظهر للعن.
- (الْبَارِئُ): هو الذي أوجد الخلق من العدم على غير مثال سابق.
- (الْمُصَوِّرُ): هو الذي أعطى كل شيء شكله الذي يليق به، التي تناسب حياته
- (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى): أي له أسماء وصفات عالية، لا نقص فيها ولا عيب. لله تسعة وتسعون اسمًا، من أحصاها دخل الجنة.

﴿الْمُؤْمِنُ﴾

٤

وفيها أقوال:

- المؤمن من "الأمن" فيكون معناها الذي يؤمّن عباده، يؤمنهم من الظلم، من المخاوف إذا هم خافوه وفي الحديث القدسي: "لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، إن أمني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن خافني في الدنيا أمنت يوم أجمع عبادي". فالؤمن هو الذي يؤمّن عبده الذي يخاف منه

أو المؤمن من "الإيمان". يعني التصديق كقول إخوة يوسف: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) (يوسف: 17) أي لن تصدّقنا ولو كنا صادقين.

وقال المفسرون: المؤمن هو الذي صدّق رسله في وعودهم، وأثبت صدقهم بالمعجزات، ونصرهم على الأعداء، وقوة حججهم وبراهينهم.

وقيل المؤمن: هو الذي صدّق عباده المؤمنين فيما وعدهم: نصرهم إذا اتقوه، وانتقم من أعدائهم، وحقق لهم وعده بالجنة.

﴿الْعَزِيزُ﴾

٦

- العزیز هو الذي لا يُغلب. والأصح أن نقول: العزيز الذي لا يُغالب. فكما نقول عن شخص: "فلان لا يُقتل"، قد يُؤذى لكنه لا يُقتل، أما إذا قلنا: "فلان لا يُقاتل"، فهذا مستحيل.
- تكرر صفة "العزیز" بداية السورة وآخرها لتطمئن المؤمن بأن الله لا يُغالب ولا يُغلب.

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾

٨

- أي المتعظيم، المتكبر: هو الذي يرى نفسه عظيمًا وكل ما سواه حقيرًا، وهذه الصفة لا تليق إلا بالله تعالى، فهي صفة كمال من صفاته وأسمائه.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

٢

- فكل ما في الكون يسبح له، فالإنسان المكلف أولى بالذكر والتسبيح والعمل الصالح لينجو يوم القيامة.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

٣

- العزیز الذي لا يغالب، فهو الحكيم في كل ما فعل، بطرد بني النضير، وبتقسيم الفيء، بتفضيل المهاجرين والأنصار على غيرهم، سواء في العدل أو في شرعه أو في نزول القرآن.

موضوعات السورة

1. التوجيه الأخلاقي والشرعي: كيفية التعامل مع غير المسلمين والمشاركين بطريقة عادلة.
2. الحكم والتربويات العملية: دروس مستفادة من مواقف المسلمين مع من حولهم، وما يترتب عليها من آثار اجتماعية وسياسية.
3. العبرة من السيرة النبوية: ربط الأحداث التاريخية بسلوكيات الفرد والجماعة، وتعزيز الفهم الصحيح للدين.
- كما هو الحال مع سورتنا المجادلة والحشر، دراسة الممتحنة تعمق فهم القرآن وتقوي الحفظ والفهم معًا.

تسميات السورة ومعانيها

1. "الممتحنة" على حال المهاجرة أم كلثوم؛ لكن هناك اختلاف حول المقصود بالاسم: هل يشير إلى أم كلثوم نفسها أم إلى غيرها من النساء المهاجرات.
- القول الأول:** أن الممتحنة هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهذا على اعتبار "أل" ألف لام العهد، أي الشيء المعهود. فيكون معنى "الممتحنة": أم كلثوم، لأنها أول من سافرت وتم امتحانها.
- القول الثاني:** أن "أل" هنا ألف لام الجنس، أي أن الممتحنة تعود إلى جنس كل امرأة هاجرت وتعرضت للامتحان. فهل المقصود امرأة بعينها (أم كلثوم) أم عموم النساء المهاجرات.
2. "الممتحنة" أي: التي امتحنت المهاجرات، أو التي ورد فيها الامتحان، لأنها نقلت تفاصيل هذا الامتحان.

3. سورة الامتحان.

4. سورة المودة، عند بعض السلف.

نفسيم السورة

- يتناول النصف الثاني موضوع النساء المهاجرات والامتحان والقصة: الكلام على الامتحان عمومًا يبدأ من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ فَهَجَرْنَ فَاغْتَنُوهُنَّ). (الممتحنة: 10)
- أما النصف الأول يتحدث عن موالاة الكفار (الآية 1)

معلومات حول السورة

- سورة الممتحنة مدنية بالاتفاق، لأنها نزلت بعد صلح الحديبية.
- والممتحنة هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، التي ورد ذكرها في النصف الثاني من السورة مع غيرها من النساء المهاجرات بعد صلح الحديبية، وقد خضعن لامتحان
- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ فَهَجَرْنَ فَاغْتَنُوهُنَّ). لأنها كانت أول امرأة هاجرت، وأول من تم امتحانها.

عنايت السورة بالمرأة

- تعيدنا هذه السورة إلى خط تكريم المرأة والعناية بها في جزء "قد سمع".
- الذي درسنا منه ثلاث سور، واثنان منهما تتناولان أحوال النساء:
- المجادلة:** قصة خولة بنت ثعلبة.
- الممتحنة:** قصة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.
- وهذا يبين اهتمام الله بالمرأة، سواء كانت تشكو أو مهاجرة.

فدوة أم كلثوم

- الحديث يحمل رسالة قوية وجميلة تحت على الإلتزام؛
- فوالدها، عقبة بن أبي معيط، "أشقى القوم" كان من أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم، ووصفه النبي بأنه من أشقى الناس، وكان من الذين وضعوا سلا الجزور على ظهره في مكة.
- ورغم كل ذلك، كانت ابنته أول من هاجر بعد صلح الحديبية.
- وهذه القصة تقدم رسالة لكل فتاة تعيش في ظروف صعبة أو مجتمع لا يشجعها على الإلتزام، أو تتعرض لضغوط من البيئة أو الأهل أو الصحبة، أو تواجه تحديات اجتماعية واقتصادية، لتكون مثالاً على الثبات والإلتزام والإيمان بالرغم من الصعاب.
- أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ابنة رجل من أشد الناس كفرًا، ورغم ذلك هداها الله.

(الآية 1):

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

سبب النزول



1- قصة حاطب بن أبي بلتعنة رضي الله عنه :

- هو رجل من اليممن عاش في مكة ولم يكن من أهلها الأصليين تحت تحالف، يقال مع الزبير بن العوام أو عثمان بن عفان رضي الله عنهم. ثم هاجر إلى المدينة.

قبل فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، خاف حاطب على أسرته التي بقيت في مكة، وقلق من رد فعل المشركين على أسرته، لما يصل النبي ﷺ لفتح مكة.

لذلك قرر إرسال رسالة إلى أهل مكة، تتضمن تحذيراً مبهماً عن حركة المسلمين، دون تحديد الزمان والمكان، بهدف حماية أسرته دون تعريض المسلمين لخطر مباشر، لكنه وقع في خطأ التجسس رغم نيته الطيبة. فأعطى الرسالة لامرأة ذاهبة إلى مكة، فأخفتها في شعرها لتسليمها.

2- علم النبي ﷺ عن الأمر:

- علم النبي ﷺ بالأمر عن طريق الوحي، وقد كان يدعو الله أن يخفى خبر فتح مكة عن أهلها، ليحدث الفتح من غير دماء. نص رسالة حاطب: "إن رسول الله ﷺ بعث إليكم جيشاً كالليل، يسير إليكم كالسيل، وأقسم لكم: لو سار إليكم وحده لأظفره الله عليكم."

3- خطورة موقف حاطب بن أبي بلتعنة :

- الرسالة كانت صيغتها مخيفة وكأنها تدعو أهل مكة للاستسلام، لكنها حقيقة كانت خطأ كبيراً، لأن مجرد إرسال الخبر يُعد تجسساً على المسلمين.

4- موقف عمر رضي الله عنه والنبي ﷺ :

- فذهب علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد، وأبا مرثد الغنوي، رضي الله عنهم وأمسكوا المرأة فأخرجت الرسالة، ثم عادوا إلى النبي ﷺ.

فلما واجه النبي حاطب، سأله: "ما هذا يا حاطب؟"

فأجاب حاطب قائلاً: "يا رسول الله، لا تعجل علي. والله إني لمؤمن بالله ورسوله، وما ارتددت ولا بدلت، ولكني كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم. وكان لمن معك قرابات يحمونهم، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي."

فقال عمر رضي الله عنه: "دعني يا رسول الله أضرب عنقه؛

فإنه قد خان الله ورسوله، وقد نافق." فرد النبي عليه الصلاة والسلام: "إنه قد شهد بدراً، وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم." فذرفت عين عمر رضي الله عنه وأرضاه وقال: "الله أعلم."

استنفار الآيات للمؤمنين



الله تعالى يحث قلوب المؤمنين على اليقظة والطاعة بعدة طرق:

النداء المباشر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا)

أو "يا مؤمنين"، أو "يا من آمنتم بالله ورسوله"، مما يثير في قلوبهم الاستعداد للالتزام والتفاعل مع أوامر الله.

تحذر الآيات من موالاة العدو: (لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) ففي هذه الآيات قوة استنفار واضحة: فالعدو عدو لله وعدو لكم، فلا يجوز أن يكون ولياً لكم، بل يجب أن يظل عدواً.

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾



هؤلاء هم من أخرجوا النبي ﷺ من مكة، وأنتم كذلك تأثرتم بسببهم وأيضاً هم كفار لا يمكن موالاتهم أو إرسال أخبار المسلمين لهم أو نصرتهم.

النصف الأول من السورة



نزل على حادثة خطأ حاطب بن أبي بلتعنة، وعفا عنه النبي ﷺ لتوبته ومشاركته في بدر.

وهذا يبين أن الموالاة التي صدرت من حاطب كانت معصية محرمة. لا كفراً أكبر مخرجاً من الملة.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾



التحذير من محبة الكافرين، كيف تكون لهم محبة خالصة وهم كفروا بالله؟

﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾



أجبروكم على الخروج لأنكم آمنتم بالله.

الموالاة ومعانيها

٦

- ليس كل موالة للكفار كفرًا؛ فلها أنواع ومعانٍ.
- في اللغة، تأتي بمعانٍ مثل: الحب، النصرة، الطاعة، الصداقة، والتشبه.
- المعنى الشرعي، معناها: عدم جعل الكفار أولياء لك.

أنواع الموالة ومعانيها:

1. عدم محبتهم: كما في قوله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (المجادلة: 22) يجب على المؤمن أن يبغض الكافر. لا يمكن الجمع بين إيمان بالله وحب من يستب الله.

2. النصرة وأنواعها:

- الموالاة التي تؤدي إلى الكفر الأكبر: القتال المباشر: كأن ينصر المسلم الكفار ضد المسلمين في معركة دينية، أي يرفع راية الكفر ضد راية الإسلام. في هذه الحالة يكون قد ارتد عن الدين.
- المساعدة دون القتال المباشر: كالتمجيس أو نقل الأخبار أو تقديم خدمة عن بُعد، يعد حرامًا لكنه ليس كفرًا أكبر.

3. الطاعة:

- الموالاة تشمل الطاعة أيضًا، وأثرها يختلف بحسب نوع الطاعة:
- من أطاع الكافر في الكفر: فهو كافر؛ مثل من أمره الكفار بكتابة مقالة ضد الإسلام فهو كافر أكبر.
- ومن أطاعه في المعصية: فهو عاصٍ ليس بكافر، كمن أمره الكفار بنشر الفسق والفجور أو مواد مخلة بالآداب المعصية فقط، وليست كفرًا

4. اتخاذ الكافر صديقًا مقربًا:

- من صور الموالة أيضًا اتخاذ الكفار أصدقاء ومقربين، وقد نهانا الله تعالى عن ذلك: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْمُرُكُمْ بِحَبَالٍ وَلَا يَدْعُونَ إِلَى الْبَغْيِ وَلَا يَتَّبِعُكُمْ أَفْئِدَتُهُمْ وَلَٰكِن يَتَّبِعُونَ أَفْئِدَتَهُمْ قَدْ أَفْضَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ عَمَلًا) (آل عمران: 118)
- يمكن أن يكون الكافر زميلًا في العمل أو جارًا أو أن تكون هناك علاقة طيبة، لكن لا يجوز أن يكون صديقًا مقربًا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِيًّا."

5. التشبه بالكافرين :

- التشبه بالكافرين محرم إذا كان في أمور خاصة بهم مخالفة للشرعية، أما الأمور المشتركة فلا تعتبر تشبهًا

صور لبست من الموالة

٧

- هناك صور من المعاملة مع الكفار لا تُعدّ موالة أصلاً، والدليل على ذلك ما فعله النبي ﷺ بنفسه.
- 1- البيع والشراء.
- 2- العمل.
- 3- الهدية.
- 4- عيادة المريض الكافر.
- 5- الإحسان بأنواعه.
- 6- الزواج من الكتابية الحرة العفيفة.

﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾

٨

- أي: كل ما حدث إنما حدث لأنكم مؤمنون. فكيف يا مؤمن، بعد كل هذا، توالي الكافر؟

- وكذلك اليوم: كيف نوالي الكفار بعد كل ما فعلوه في فلسطين، غزة، السودان، العراق، وسوريا؟ رغم ذلك هناك من يعظمهم أو ينصرهم، أو يتمنى سيادتهم على بلاد المسلمين. متى نفيق من هذه الغفلة؟

﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾

٩

- عتاب الله: إذا كنتم خرجتم للجهاد أو للهجرة في سبيل الله، فالنية لابد أن تكون خالصة لله وابتغاء مرضاته.

- التناقض لا يجوز: لا يمكن للإنسان أن يخلص نيته لله ويوالي عدوه في نفس الوقت. الولاء والبراء مرتبطان بنقاء النية.

﴿تُسْرُونَ إِلَهُكُمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾

١٠

- يظهر من أفعالكم محبتكم لهم على نحو مخالف لإخلاص النية لله.

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾

١١

- قاعدة عامة: الله يعلم ما تخفي وما تعلن، فلا يمكن لأحد أن يخفي شيئاً عن الله.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِثْلَ مَا فَعَلَ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

١٢

- من فعل ذلك فقد ضل.

(الآية 2):

﴿إِنْ يَتَّقُواكَمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَالسَّيِّئَاتُ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

١

﴿إِنْ يَتَّقُواكَمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾

• "يتقوكم": أي إذا تمكنوا منكم أو أدركوكم،
يظهرون عدائهم بعد أن أخفوه.

٢

﴿وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَالسَّيِّئَاتُ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

• أَيْدِيَهُمْ : كناية عن إيذاء جسدي،
• وَأَلْسِنَتَهُمْ: أي إيذاؤكم بالكلام أو سبكم أو
إعلان الكفر أمامكم.

٣

﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

• أي لن يرضوا عنكم إلا إذا كفرتم.

(الآية 3):

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ
بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

١

مناسبة الأب

• لموقف حاطب لأنه فعل ما فعله حماية لأهله
وأولاده.
• النفع الحقيقي لا يكون إلا بالله فهو مسبب
الأسباب.

٢

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

• الجميع محاسبون، ولا شفاعاة أو قربي تنفع إلا
بإذن الله.

(الآية 4):

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ
وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَخُذْهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

١

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

• هناك أقوال متعددة:

1. الذين آمنوا به هم لوط وسارة زوجة إبراهيم.
2. جميع الأنبياء الذين ساروا معه على منهج إبراهيم.
3. كل من اتبع نهج إبراهيم عمومًا سواء الأنبياء أو الأمة وهو يشمل القولين الأول والثاني. إذن، نحن المسلمون معهم على التوحيد الخالص.

٢

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ
وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

• البراء: عكس الولاء؛ ومعناه بغض الكافرين،
وعدم تأثيرهم على المؤمنين، وعدم التشبه
بهم، وعدم طاعتهم في الكفر أو المعصية.

• الولاء: يقتصر على المؤمنين والتابعين لهدي
الله.

٤

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ
أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخُذْهُ﴾

• يبقى العداء والبغضاء مستمرين حتى يؤمن
هؤلاء بالله وحده.

٣

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾

• رفضنا الطاغوت وعدم الإيمان به أو طاعته،
وعدم محبته، وهو جزء من البراء.

٥

خطر اعتقاد أن كل الأديان
تؤدي إلى الله

من يقول ذلك لا يصح إيمانه، وهو كافر.
لأن الإسلام دين توحيد يقوم على الإيمان بالله
وحده، وعدم الرضا إلا بالله رباً، ورفض عبادة أي
شيء سواه، وأن الحق لا يتعدّد في أصل العقيدة.

ولهذا فشهادة لا إله إلا الله تتكون من شطرين:

1. لا إله: أي الكفر بكل ما يُعبد من دون الله، ورفض
الشرك وعدم الرضا به.
2. إلا الله: أي إثبات أن العبادة لا يستحقها إلا الله
سبحانه وتعالى وحده

٧

صعوبة دمج العقائد بين الإسلام
واليهودية والمسيحية

1. الإسلام: المسلمون يؤمنون بالنبي محمد ﷺ،
وهذه عقيدة غير مشتركة مع اليهود والنصارى
وبالتالي، لتكوين دين واحد يجب التنازل عنها.
2. المسيحية: المسيحيون يؤمنون بسيدنا عيسى
عليه السلام إيماناً مركزياً، بينما اليهود لا يعترفون
به. إذاً يجب التنازل عن هذا أيضاً.

بعد حذف العقائد غير المشتركة بين الإسلام
واليهودية والمسيحية، لا يبقى إلا الإيمان بسيدنا
موسى عليه السلام باعتباره القاسم الأدنى بينهم
وتقريباً للفكر. فيصبح الدين المقترح أقرب للرؤية
اليهودية أو متأثراً بها.

٩

مفهوم "بنت العائلة الإبراهيمية"

مشروع يضم مسجداً وكنيسة ومعبدًا يهوديًا في
مكان واحد لتعزيز الحوار بين الأديان، التعايش،
ويخاطب المسلمون بعبارات مثل: "الأديان سبب
الخلاف، فلنتفق على إبراهيم وننشئ ديناً واحداً"

١١

بطلان دعوهم والخففة
من منظور الإسلام

قوله تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

إبراهيم عليه السلام من الأنبياء الموحدين، ولو
أدرك النبي ﷺ لا تبعه، وقد صلى خلفه ليلة الإسراء.
والله أخذ العهد على الأنبياء بالإيمان برسول الله
ﷺ.

شهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هي الدين
الذي ارتضاه الله لإبراهيم، وهو أساس توحيد
الأنبياء جميعاً.

١٣

(رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ
اتَّبَعْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)

المؤمن يبرأ من الكافرين ويتوكل على الله في كل
أمره، فلا يخاف من فقدان الرزق أو الحماية، لأن الله
هو القادر على تدبير الشؤون، حتى في غياب موالاة
الكافرين.

٦

خطورة مشروع
"الإبراهيمية"

انتشرت في السنوات الأخيرة دعوة متصاعدة من
شخصيات عالمية - مثل ترامب وغيره - للترويج لما
يسمى: "الدين الإبراهيمي" أو "المسار الإبراهيمي"
أو "الديانة الإبراهيمية". واكتسبت هذه الدعوة
حضوراً واسعاً في الإعلام والمؤتمرات، مع ضغط
دولي متزايد لتنفيذ هذا المشروع وبدأ تطبيقه
فعلياً بخطوات عملية.

فكرة إيجاد قواسم مشتركة بين الأديان: محاولة
جمع نقاط الاتفاق بين الإسلام واليهودية
والنصرانية في الأخلاق والقيم العامة.

٨

طبيعة الدين الجديد

يُختزل في الأخلاق والمعاملات بلا عقيدة، ويُطرح
تحت شعار "المسار الإبراهيمي"، بينما تبقى الأديان
الأخرى متمسكة بعقائدها، ويُطلب من المسلمين
وحدهم التنازل عن خصوصيتهم العقدية بشعارات
جاذبة الإخاء، التعايش، إنهاء الصراعات الدينية

١٠

الهدف الخفي من مشروع
الديانة الإبراهيمية

1. إضعاف عقيدة المسلمين حتى يتم تفرغ الإسلام
من مضمونه.
2. تمكين اليهود سياسياً ودينيًا في المنطقة.
3. استخدام مؤتمرات وشعارات براقة لإخفاء
الأهداف الحقيقية.

الخطة المتوقعة: فرض الديانة الإبراهيمية على
الأجيال القادمة:

1. جمع المسلمين في دين مُفَرَّغ هو "الدين
الإبراهيمي"
2. فرضه عبر المناهج الدراسية، المؤتمرات، الإعلام،
الخطاب الرسمي
3. الضغط على الحكومات لاعتماده رسمياً.

١٢

(إِنَّمَا قَوْلُ رَبِّهِمْ لِأَبِيهِمْ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ
وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)

استثناء استغفار إبراهيم لأبيه :

تفسيران لكلمة "إلا":

1. استثناء متصل: أي أن المستثنى (ما بعد "إلا") جزء
من المستثنى منه، فإبراهيم كان أسوة في كل شيء
إلا في استغفاره لأبيه. والآية استثناء خاص لأن
إبراهيم وعد أباه بالاستغفار، وكان يرجو أن يؤمن،
وتوقف بعد وفاته على الكفر، فلا يُحتذى به
للمشركين.
- لا يجوز الاستغفار لمن مات على الشرك.

2. استثناء منفصل: أي أن "إلا" بمعنى "لكن"، والكلام
بعد "إلا" مستقل لالعلاقة له بما قبله، ويبيّن موقف
إبراهيم في وعده لأبيه، لكنه ملتزم بعدم الاستغفار
للمشركين بعد وفاتهم. إبراهيم عليه السلام لم
يستغفر لأبيه بعد أن علم أنه مات على الكفر.

(الآية 5):

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

معنى "فتنة": وفيه خلاف تنوع؛
الفتنة إذا جاءت فاعل :
أي لا تجعلنا سبباً في إضلال الكفار أو صدهم عن
الإسلام.

المسلم قد يكون سبباً في بُعد الناس عن دين الله
دون أن يشعر.
1- عندما يتسلط الكفار على المسلمين
أي حين يهزم المسلمون أو يذلون، فيظن الكافر:
أن هذا دليل على صحة دينهم وبطلان الإسلام ، وأنه
الله لو كان مع المسلمين لنصرهم فالحزيمة هنا
تصبح فتنة لهم، لكن سبب الهزيمة الحقيقي هو
معاصي المسلمين لا صحة دين الكفار.
قال عمر: "كنا أذل قوم حتى أعزنا الله بالإسلام،
فمهما ابتغينا العزة في غير دين الله أذلنا الله."

2- الفتنة بسبب سوء أخلاق بعض المسلمين.
3- الفتنة بسبب الجماعات المنحرفة.
4- بل قد يصبح المسلم فتنة للمسلمين أنفسهم.

الفتنة إذا جاءت مفعول:
أي: لا تجعلنا يا رب واقعين تحت فتنهم، ولا تجعلنا
نتأثر بما عندهم من شهوات وشبهات.

إعجاب المسلم بأخلاقهم الظاهرة أو حضارتهم
وينسى قيم دينه.

1- الافتتان بشهواتهم : مثل انتشار الخمر، التبرج،
الاختلاط المحرم، العلاقات غير الشرعية... إلخ.
2- الضغط على المسلم وأبنائه في المدارس الأجنبية
فيكبر الطفل وهو يتأثر بعقائد غير المسلمين
وقيمهم.

3- ضغط العمل على ترك الصلاة أو التهاون بالدين.
4- إعلامهم الذي يروج للانحرافات بأنواعها.

فالزم الدعاء بقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ
كَفَرُوا)

(الآية 6):

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

الاستقامة والطاعة لنفسك: الصلاة، الصيام،
الجهاد، كلها لمنفعتك
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)
(فاطر 15-16)

﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

الحميد لأن غناه لا يطفئه، وأفعاله محمودة، على
عكس الغنى البشري الذي قد يطفى صاحبه.

(الآية 7):

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

من المناسب استخدام الغفور الرحيم لتشجيع
الكفار على الإسلام، فالله يغفر الذنوب لمن أسلم.
الغفور: يغفر الذنوب السابقة.

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾

قادر أن يقلب القلوب، يغير مجرى الأمور، ويبدل
الحال من الكفر إلى الإيمان.

(الآية 7):

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً
وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾

- هذه الآية تفتح باب الأمل لكل إنسان، فهي تربط القلب بالله القادر على تغيير القلوب وهداية من يشاء.
- أَسْتَعِنَ بِاسْمِ اللَّهِ الْقَدِيرِ عَلَى هِدَايَتِي وَهَدَايَةِ أَهْلِي وَمَنْ أَدْعُوهُمْ، فَمَهْمَا ابْتَعَدَ الْإِنْسَانُ فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرُدَّهُ.
- فَقَدْ اهْتَدَى أَبُو سَفْيَانَ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَعُكْرَمَةُ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
- اللَّهُ غَيَّرَهُمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغَيِّرَنِي وَيَغَيِّرَ غَيْرِي.

(الآية 8):

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفْتِلِكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

موضوع الآيه

٢

- الآية تتحدث عن الكفار غير المحاربين الذين لا يظهرون عداً أو اعتداءً، مثل: الذمي المستأمن والمُعاهد. لا ينهاها الله عن الإحسان إليهم.
- **البِرُّ**: هو فعل الخير وبذل المعروف
- **القسط**: هو العدل في المعاملات كالبيع، والقضاء، والتحاكم.
- جواز الإحسان والعدل مع غير المحاربين، وعدم جواز موالاة الكافر لأنها محرمة أصلاً للمحارب أو غير محارب

معنى الموالاة

١

- الموالاة هي المحبة، النصرة على المسلمين، خاصة في حرب دينية. هي التشبه بالكفار، أو اتخاذهم بطنانة مقربين، أو طاعتهم في معصية الله، فضلاً عن طاعتهم في الكفر، قال تعالى: (وَلَا تُطِيعُوا مَنْهُمْ عَائِماً أَوْ كُفُوراً) (الإنسان: 24)

سبب نزول الآيه

٣

- نزلت هذه الآية بسبب حادثة تتعلق بأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.
- فأما قتيلة بنت عبد العزى كانت مطلقة قبل الإسلام، ولم تُسلم حتى بعد الهجرة. وبما أن أبا بكر تزوج أكثر من زوجة، فإن أسماء تكون أخت السيدة عائشة من الأب فقط، بينما هي أخت عبد الله بن أبي بكر من الأب والأم معاً.
- جاءت قتيلة إلى المدينة لزيارة ابنتها أسماء، جالبة لها الهدايا. وبسبب شدة حرص أسماء على الالتزام بالبراء من المشركين، ذهبت إلى النبي ﷺ تسأله: "يا رسول الله، إن أُمِّي قد قدمت راغبة". أي: ترغب في زيارتي، وفي إعطائي هدية، وليس المقصود راغبة في الإسلام، فهي لم تُسلم بعد. ثم سألت: "أفأصلها؟" أي: هل أصلها بالزيارة وأقبل هديتها؟ فحكم النبي ﷺ وقال: "أقبل منها الهدية، وصليها، وأحسني إليها."

- فالآية تؤكد أن الإحسان للكافر غير المحارب جائز، وهذا يشمل الهدايا، الإطعام، والعدل في المعاملة، كما قال تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكُوراً وَتَيْمَناً وَأُسْيراً) (الإنسان: 8) والأسير لا يكون إلا كافراً، مما يدل على جواز الإحسان إليه.

تحريم تهنئة الكافر
بأعياده الدينية

٤

- استدل البعض بالآية الكريمة على جواز تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية، وهذا خطأ.
- الصحيح - والله أعلم - كما ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه أحكام أهل الذمة، باتفاق جميع العلماء على عدم جواز تهنئة الكافر بأعياده الدينية.
- ذلك لأنها ترتبط بمعتقدات شركية يعتبرها المسلم كفراً، مثل الاحتفال بميلاد المسيح أو قيامته من الموت، أو أي أعياد مبنية على عقائد شركية.
- فهذه الأعياد لا تليق بجلاله سبحانه تعالى.
- **قال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ)** (الفرقان: 72)
- **قال الصحابة في تفسير هذه الآية: لا يشهدون أعياد الكافرين وشركياتهم.**

٥

موقف المسلم يوم عبد الكافر

لا يؤذيه، ولا يهنته، ويمرّ اليوم كأى يوم عادي.

قال ابن القيم: إن تهنة الكفار بأعيادهم من أشدّ المحرمات عند الله تعالى، بل أشدّ من فعل الكبائر.

وعلى المسلم التبرأ من العقائد الباطلة، كما قال تعالى: (وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدُوَّةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ) (الممتحنة: 4)

و يجوز تهنة الكفار بالمناسبات الدنيوية إذا كان للكافر مناسبة غير دينية: زرق بولد، تزوج، ترقى في عمله، اشترى سيارة، فيجوز تهنته: لأنها أمور مشروعة في جميع الشرائع، وتدخل فعلياً في البر والقسط.

٦

أثر تهنة الكافر على الدعوة

التهنة بأعياد الكفار تعدّ سبباً لصدهم عن سبيل الله؛ لأنها توحى لهم بأن معتقداتهم صحيحة، وأن المسلم يقرّها، مما يضعف أثر الدعوة ويجعل إقناعهم بفساد هذه العقائد أصعب.

(الآية 9):

﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَتْلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

١

﴿ وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَكُمْ ﴾

ظاهروا: أعانوا غيرهم على إخراجكم، فلا تولوهم أبداً.

(الآية 10):

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُوزَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَارِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ﴾

تكريم المرأة في جزء "قد سمع"
فكم مرة كُرِّمت المرأة في هذا الجزء.
الآية الكاملة نزلت في المهاجرات.
والسورة نفسها نزلت بسبب امرأة: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وقد كان من أشدّ الناس إيذاء للنبي، فأسلمت ابنته وفرت بدينها، فكرمها الله بنزول حكم خاص بسببها.

١

وقت النزول

هذا الجزء من السورة نزل بعد صلح الحديبية ومرتببط به تاريخياً.

٣

صلح الحديبية

في السنة السادسة من الهجرة، أراد النبي ﷺ أداء العمرة مع الصحابة. وكان المعتاد في جزيرة العرب ألا يُمنع أحد من أدائها، فظن النبي أن قريش لن تمنعه، لكنها تعنتت عند الحديبية، على أطراف الحرم

٤

مفاوضات صلح الحديبية

النبي ﷺ لم يرد القتال، أرسلت قريش العديد من المفاوضين، آخرهم سهيل بن عمرو، الذي تم على يديه الصلح وأسلم لاحقًا.

وتم الاتفاق على الشروط التالية:

1. تأجيل أداء العمرة هذه السنة، والسماح بها في السنة التالية.
2. وقف الحرب عشر سنوات بين المسلمين وقريش، مما أتاح وقتًا للدعوة والتخطيط وفتح خير لاحقًا.
3. إرجاع من أسلم وهاجر إلى المدينة من قريش دون إذن وليه، بينما لا ترد قريش أحدًا من المسلمين رجع إلى مكة.

٦

﴿ذَلِكُمْ كَلِمَةُ اللَّهِ بَيْنَكُمْ بَيْنَهُمْ﴾

الله سبحانه وتعالى فصل بين الرجال والنساء في هذا الحكم، وأمر النبي ﷺ بعدم رد النساء إلى المشركين، بينما تبقى المعاهدة مستمرة بحق الرجال فقط.

٨

حماية المرأة المهاجرة في الإسلام

- أمر الإسلام بإنهاء عصمة المرأة المسلمة عن زوجها الكافر بعد الهجرة، ومنع تمكين الكفار منها؛ لأن إعادة المرأة إليهم قد تعرضها للإكراه أو الضغط الديني أو الاعتداء والتعذيب.
- طبيعة المرأة أنها أضعف من الرجل في مواجهة القوة أو الإكراه.
- هذا الحكم يدل على عناية الإسلام العظيمة بكرامة المرأة، وصيانة دينها، ومراعاة اختلاف قدرتها على التحمل في ظروف الخطر.

١٠

قبول الإسلام والالتزام بأحكامه

- دخول المرأة في الإسلام يبدأ بالتأكد من رغبتها الصادقة، ثم بنطقها بالشهادتين، فتصير مسلمة.
- وبعد ذلك يُعرض عليها الإلتزام بأحكام الإسلام؛ لأن استمرار الإيمان مشروط بقبولها لأصول الانقياد لله تعالى. فمن رفضت الانقياد لأحكام الإسلام بعد ثبوت الإسلام عُذ ذلك ارتدادًا.
- وغالبًا يُكتفى بالشهادتين، وقد تُضاف البيعة على شعائر الإسلام لتأكيد قبولها الكامل للدين. هذا يضمن أن المرأة اختارت الإسلام طوعًا، وأن مجتمع المسلمين يحفظ إيمانها دون أي صورة من الإكراه.

- وينطبق الحكم نفسه على المرأة النصرانية إذا أسلمت؛ فالشهادتان تكفيان لإثبات دخولها الإسلام، ثم يُعرض عليها الإلتزام بأحكام الإسلام لضمان ثباتها في الدين.

٥

هجرة أم كلثوم

- بعد صلح الحديبية، هاجرت أم كلثوم إلى المدينة، وقد كان أبوها عتبة بن معيط قد قتل في بدر، أما أخوها عمارة والوليد أرادا إعادتها إلى مكة فذهبوا للنبي ﷺ لإرجاعها، حسب شروط الصلح.
- فنزلت آيات لتوضيح حكم الهجرة بالنسبة للنساء، وأن شروط صلح الحديبية كانت متعلقة بالرجال فقط، لا تشمل النساء.
- كان في صياغة الصلح، بما ورد: "على ألا يأتيك منا رجل إلا رددته إلينا".
- إذن، الشرط لا يشمل النساء، ومن هنا رفض النبي ﷺ إعادة أم كلثوم إلى مكة، لأنها هاجرت مؤمنة، وكانت حرة في اختيار مصيرها.
- بعض الروايات تقول أن النص في صلح الحديبية كان: "على ألا يأتيك منا أحد إلا رددته إلينا".
- بما أن المکتوب "أحد"، فهذا يعني رجلًا، والنساء خارج الإتياف.

- هناك قاعدة عند علماء الأصول أن القرآن يمكن أن يخص السنة، أي يبين أن الحكم العام لا يشمل بعض أفرادها.

٧

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾

الإمتحان وفيه قولين:

- القول الأول:** التأكد من أن المرأة قد هاجرت رغبة في الإسلام، وليست هاربة لأسباب دنيوية أو شخصية. فأن تنطق بالشهادتين؛ صادقة، فهي قد أسلمت.

- القول الثاني:** يشمل القول الأول إضافة إلى البيعة على أحكام الإسلام: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْتَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِنِهْنٍ يَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) بعد هذا الإمتحان، المرأة لا تُرد أبدًا إلى المشركين.

٩

حماية المرأة تحت رعايت المسلمين بعد الهجرة

- عندما تهاجر المرأة المسلمة، يتولى المسلمون حمايتها من المشركين وأي تهديد محتمل. فإذا نطقت الشهادتين، وقبلت شعائر الإسلام، عُذت مسلمة، ويُعامل إيمانها بحسب ظاهر حالها، وتترك سريرتها لله تعالى.
- وبعد التثبت من إسلامها، تُمنح الحماية الكاملة، ويُثبت وضعها بين المسلمين، ولا تُعاد إلى الكفار مطلقًا؛ حماية لدينها وصونها لكرامتها ومنعًا للفتنة أو الإيذاء.

١١

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾

- الإيمان له ظاهر وباطن:**
- الظاهر:** نطق الشهادتين وما يظهر من الإلتزام بأحكام الإسلام، وهو الذي تُبنى عليه الأحكام الشرعية.
- الباطن:** ما ينعقد في القلب، وهو أمر لا يعلمه إلا الله.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾

١٣

● قبل نزول الآية، كان يمكن للمرأة أن تُسلم وتبقى مع زوجها الوثني دون أن يفسد إسلامها، أما بعد الآية فصار ذلك محرماً.

● **الوثنية:** عبادة الأصنام والأوثان. مثال ذلك:

● زينب بنت النبي ﷺ كانت زوجة لأبي العاص بن الربيع، ولم يكن قد أسلم في البداية، فبقيت على عصمته قبل نزول الآية.

● وفي غزوة بدر خرج مع قريش فوقع في الأسر، فأرسلت زينب قلادة ورثتها عن أمها خديجة لفدائه، ففرق النبي ﷺ لحالها فأطلق سراحه بشرط أن يرسلها إليه.

● وبعد هجرتها انفصلت عنه لأنها مسلمة وهو على الشرك.

● ثم بعد سنوات أسلم أبو العاص وقدم المدينة معلناً إسلامه، فعاد زوجاً لها على الإسلام.

حكمة التفريق بين المرأة المسلمة واللافر

١٥

● لا يجوز لمسلمة أن تتزوج كافراً أو أن تبقى تحت عصمته مهما كان دينه: سواء كان مشركاً أو ثنياً أو ملحدًا.

● لحماية المرأة من الفتن أو الضغط، وحماية دينها وأولادها.

● لأن الكافر قد يضغط عليها أو يؤثر على دينها، وقد يربي أولادها على عقيدته.

تحذير للعنقاء المسلمة المعاصرة

١٧

● بعض بنات المسلمين يقعن في حب كافر أو نصراني، وهذا حرام شرعاً لا يصح عقده بل يعد زناً، حتى لو وافق الولي أو وُجد شهود على العقد.

المقصد من إعطاء المهر للمرأة

١٩

● إكرام المرأة فالمهر حق خالص لها وملك مستقل.

● يصونها من الاستغلال بعد انفصالها عن الزوج الكافر.

● يعكس عناية الإسلام بكرامتها، سواء كانت مهاجرة أو مقيمة.

● في بعض الأعراف، قد يستخدم الوالد جزءاً من المهر للمساعدة في تكاليف الزواج، ويُعد ذلك من الإحسان وكرماً من المرأة، لكنه ليس واجباً.

● الأهم أن تكون المرأة مالكة لمهرها، وأبي استخدام له يجب أن يكون بموافقتها لعذر مشروع.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾

١٢

● **حكم رد النساء إلى الكفار:**

● بعد التأكد من إسلام المرأة، يحرم إعادتها إلى الكفار حماية لها من الفتنة والإكراه والتعذيب، ولضمان بقائها مستقرة على الدين.

نطبق الصحابة للأب

١٤

● طلق سيدنا عمر رضي الله عنه امرأتين من زوجاته لأنهما كانتا مشركتين.

● مما يدل على أن المرأة المسلمة لا يجوز أن تبقى مع زوجها الكافر، ولا يجوز للكافر أن يتزوج مسلمة.

الحكمة من إباحة زواج الرجل المسلم من نساء أهل الكتاب (اليهودية أو النصرانية)

١٦

● لأن للرجل ولاية وسلطان على الزوجة والأسرة، فيمكنه دعوتها للإسلام، ويربي أولاده على دين الإسلام.

﴿وَأَنفُسُهُمْ مَا أَنفَقُوا وَلَا يَخَافُ عَذَابُهُمْ أَن تَلَاحُوهُنَّ إِذَا أُنْبِتْنَهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾

١٨

● **حكم الزواج بعد انفصال المرأة المهاجرة عن الكافر:**

● بعد انتهاء عدتها من الكافر، يجوز للمسلم الزواج بها.

● بشرط أن يعطيها مهرًا كاملاً، فهو حق لها واعتراف بكرامتها.

● يجب أن يكون مهر المرأة مناسباً لدينها ومكانتها، ولا يجوز استغلال ظروفها ولو كانت مهاجرة حديثاً للزواج منها بلا مهر.

﴿وَسَلُّوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾

٢٠

● إذا ارتدت المرأة المسلمة عن الإسلام وانضمت إلى الكفار، فمن حق الزوج المسلم أن يطالب باسترداد المهر الذي دفعه لها.

﴿وَلَبَسُوا مَا أَنفَقُوا﴾

٢١

● **العكس أيضاً:**

● إذا أسلمت امرأة كافرة وتركت زوجها وذهبت إلى المسلمين، فمن حق الكافر استرجاع المهر الذي دفعه لها.

● الآية تطبيق عملي للقسط ومن كمال عدل الإسلام.

﴿ذَلَّلْنَاهُ حَتَّىٰ لَمَّا بَلَغَ بَيْنَهُمَا وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَيْكُمْ﴾

٢٢

● الحكم إلهي، قائم على العدل والحكمة، والله يضع الشيء في موضعه.

(الآية 11):

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

﴿فَعاقِبْتُمْ﴾

٢

تحتمل معنيين عند العلماء:

1. من العقوبة:

أي: عاقبتكم الكفار بأخذ جزءٍ من المال الذي هو حقكم، وذلك عندما يرفضون أن يعطوا المسلم المهر الذي دفعه لزوجته المرتدة. فيُقتطع هذا المبلغ من الأموال التي سيدفعها الكفار لاحقاً مقابل مهر النساء المسلمات القادمات إلى المدينة.

2. من العقب (ما بقي):

أي: فعاقبتكم بمعنى احتفظتم بالعقب، وهو ما بقي لكم من الحقوق. فتخصمون حق الزوج المسلم أولاً من المال الذي سيدفعه الكفار، ثم يُعطى لهم الباقي.

هذا هو معنى المقاصة:

مثال توضيحي: إن كان المسلم يطلب منهم 50,000 وهم يطلبون من المسلمين 150,000، فيُخصم حق المسلم ويبقى لهم 100,000 فقط.

فإذا كان للمسلم مهر مستحق لم يدفعه الكفار:

يُخصم حقه من المال الذي سيدفعه الكفار للمسلمات القادمات. ويُعطى للزوج المسلم قدر ما أنفق.

وإن لم يكن عند المسلمين مال للكفار ليُجرى الخصم

منه يُعطى المسلم حقه من: الغنائم إن وقع قتال أو الفداء إن لم يقع قتال. وذلك قبل تقسيم الغنائم، تحقيقاً للعدل وردّ الظلم.

من عدل الإسلام أنه ضمن للمسلم حق مهره كاملاً

إما عن طريق الخصم من حقوق الكفار (المقاصة)، أو من الغنيمة أو الفداء إن لم يوجد مال يُخصم منه.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾

١

لو افترضنا أن زوجاً مسلماً ارتدت زوجته عن الإسلام وذهبت إلى الكفار، وطلب من هؤلاء الكفار استرداد مهرها، فإذا رفضوا دفعه، جاءت الآية لتوضح كيفية التعامل مع هذا الموقف. عندما تصل نساء مسلمات جديدات إلى المدينة، ويُطالب الكفار بمهرهن، يتم خصم قيمة المهر المستحق للمرأة المرتدة من المهر المقرر للنساء المسلمات الجديدات

(الآية 12):

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

نفاصل بيعه النساء في الإسلام

١

النبى ﷺ كان يبايع النساء على الإلتزام بشعائر الإسلام، ولكن بطريقة تختلف عن بيعة الرجال. سميت بيعة العقبة الأولى باسم "بيعة النساء" لأنها تتطابق وتشترك مع بنود بيعة النساء. وكلاهما يختلف عن بيعة العقبة الثانية التي تضمنت الجهاد والدفاع عن النبي ﷺ.

طريقه المبايعه

٢

يروى عروة بن الزبير، وهو ابن أسماء وخالته السيدة عائشة رضي الله عنها، إن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية فقال عروة وقالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: "قد بايعتك كلاماً" والله ما مست يده يد امرأة في مبايعة قط وما بايعهن إلا بقوله "قد بايعتك على ذلك" ثم قلن يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة كقولي لـ مئة امرأة.

٣

بنود بيعه النساء

كانت البيعة على تفاصيل شعائر الإسلام، تشمل:

1. عدم الشرك بالله: الإلتزام بالتوحيد والابتعاد عن الشرك الأكبر والأصغر.

2. عدم السرقة: منع أخذ أموال الغير بغير حق. المرأة تأخذ بالقدر الكافي للمعيشة المعتادة فقط، دون إسراف أو تعدد على حق زوجها. يجب أن تستأذن عند أخذ ما ليس لك حتى لو كان لأخيك.

3. عدم الزنا: الإلتزام بالعفة والطهارة. فاطمة بنت عتبة في بيعة النساء أظهرت حياءً شديداً عند سماع قول النبي ﷺ: "ولا يزينين" في البيعة. وضعت فاطمة يدها على رأسها حياءً من الكلمة، إذ أحست بثقل المعنى وخجلت من مجرد سماعها.

هند امرأة أبي سفيان عندما استمعت إلى قول النبي: "ولا يزينين"، قالت مستغربة: "أتزني الحرة؟" قصدت بذلك أن الزنا كان يُرتكب بين الإماء أو النساء غير الحرائر في الجاهلية، أما المرأة الحرة الشريفة فلم تكن تزني.

4. عدم قتل الأولاد: ففي الجاهلية كان القتل بسبب الفقر أو وأد البنات خوفاً من العار. الإسلام يحظر الإجهاض بعد نفخ الروح، إلا عند تهديد حياة الأم، ويتخذ القرار بموافقة الطبيب.

5. عدم البهتان والافتراء: اجتناب نشر الأكاذيب والفواحش. الإسلام: حرم الزنا والنسب الكاذب، وحفظ حقوق الأبناء والأنساب.

6. ولا يعصين في المعروف.

(الآية 13):

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ

النهي الذي جاء في أول السورة عن موالاة الكفار الذين غضب الله عليهم.

١

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾

يأس الكفار الذين لم يؤمنوا وبسبب كفرهم فما عندهم رجاء برحمة ولا ثواب ولا أجر.

٢

﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

هناك احتمالان للتفسير:

1. الكفار الأحياء يئسوا من لقاء أصحاب القبور بسبب كفرهم بالبعث.

2. (من) البيانية: (تبين حال الكفار) أي كما يئس هؤلاء الكفار الذين أصبحوا في القبور من كل خير في الآخرة عندما رأوا مصيرهم من العذاب.

كلا الاحتمالين يوضح عظمة الحق والعدل الإلهي.

٤

موقف النبي ﷺ من مصافحه النساء

رفض النبي ﷺ وهو في أشرف بقاع الأرض أن يصفح النساء أو يمسه أي امرأة ليست من محارمه، حتى في أعظم البيعات.

فقال عليه الصلاة والسلام: "إني لا أصفح النساء، إنما قولي لامرأة كقولي لمئة امرأة."

فيايعهن كلاماً فقط، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها: "والله ما مس رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا محارمه."

وكما قال النبي ﷺ: "ليطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسه امرأة لا تحل له."

بعض الفتاوى الخاطئة تقول إن المصافحة تعتمد على "النية"، وهذا خطأ، لأن النية لا يمكن للإنسان أو غيره أن يعلمها بدقة، والنبي ﷺ أشرف الخلق وفي أشرف موقف، وأشرف النساء امتنع عن المصافحة حفاظاً على الحكم الشرعي المطلق، وليس مرتبطاً بالنية.

٥

الهدف من عدم مصافحه النساء

منعاً للفتنة، وسد ذريعة الشر وحفظ كرامة المرأة وحماية حرمة المحارم وصون للحياء والحدود الشرعية.

كما يكرم ويحافظ على غيرة الرجال وكرامتهم وحقوقهم الشرعية تجاه محارمهم.

﴿وَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٦

والاستغفار لهن من الله رحمة ورفقاً، لأن الجميع معرض للخطأ.

التعريف العام بالسورة

١

- سورة الصف سورة مدنية،
- وموضوعها الأساسي هو: الاستجابة لله وللرسول ﷺ.

(الآية 1):

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾

١

- سبح لله: أي نزهه عن كل نقص وعيب.
- كل من في السماوات والأرض مستجيب، إلا عصاة بني آدم وعصاة الجن.

وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى، فقال: "ما تستقل الشمس بشيء إلا وهو يسبح الله تعالى إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم".

- قد تبدو الطاعة غريبة بين الناس لكن عند التأمل ستجد أنك منسجم مع الكون كله، وأن الخارج عن هذا النظام قلة من البشر فقط.
- الفتاة التي تتحجب وتغترب بين زميلاتها، يكفي أن تنظر إلى السماء والأرض لتدرك أن الكون كله معها، وأنها في الطريق الصحيح ومنسجمة مع الخلق.
- العاصي خارج عن انسجام الكون؛ لأنه ليس على الطاعة. وهذا يهون غربة السائر إلى الله.

(الآيتان 2-3):

﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لَا تَفْعَلُوْنَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ اَنْ تَقُوْلُوْا مَا لَا تَفْعَلُوْنَ﴾

سبب نزول الآية

١

القول الأول: إن هذه الآية نزلت في بعض أصحاب النبي ﷺ الذين كانوا يسألون كثيراً عن الأعمال التي يجبها الله، ثم لا ينفذونها جميعاً. فعاتبهم الله قائلاً: "لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟" أي: إذا تحمست لفعل شيء أو طلبت أمراً، فلنكن ملتزمًا بوفاء وعذك.

القول الثاني: إن الآية نزلت بعد غزوة أحد، حين سأل الصحابة النبي ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله، فأخبرهم بأن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً. ولكن يوم أحد تفرقوا وفروا، فعاتبهم الله قائلاً: "لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟"

القول الثالث: إن الآية نزلت في قوم كانوا بعد المعركة يبالغون في وصف أعمالهم، فيقولون: "قاتلت" وما قاتلوا، و"ضربت" وما ضربوا، و"جاهدت" وما جاهدوا، فيمدحون أنفسهم بما لم يفعلوا.

مخاور السورة

٢

- تقرير أن كل ما في الكون يسبح لله.
- عتاب المؤمنين: لماذا تقولون ما لا تفعلون؟
- أمثلة من الأمم السابقة وعبرها.
- الدعوة للجهاد وبيان فضله.
- الأمر بأن نكون من أنصار الله.
- الثناء على المجاهدين صفاً، وعرض قصة موسى مع قومه الذين لم يستجيبوا له، ثم قصة عيسى والحواريين الذين استجابوا وكانوا أنصاراً لله. ثم دعوة المؤمنين للاستجابة لأمر الله ودخول التجارة الرابحة بالطاعة والجهاد، وتبشّرهم بالجنات والنصر والفتح القريب.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

٢

- إذا آمنت بأن الله منزّه عن النقص، يصبح من الضروري الانقياد لدينه بلا تردد.
- الآية تجمع بين الترغيب والترهيب: العزة تتضمن معنى القدرة والقهر، مما يحمل في السياق معنى التحذير.

الإنسان العاقل لا يراجع في أوامر الله، لأن الله: عزيز: غالب لا يُغلب.

- حكيم: كل أمره في موضعه ولا يخلو من حكمة.
- الجمع بين العزيز والحكيم يجمع كمالين عظيمين، فالعزة وحدها كمال، والحكمة وحدها كمال، واجتماعهما يمثل كمالاً فوق الكمال. فالإنسان قد يكون قوياً لكنه يخطئ، أو حكيمًا لكنه ضعيف، أما الله سبحانه وتعالى فهو عزيز حكيم، فقد اجتمعت فيه كل كمالات القوة والحكمة.

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

٢

- بعض الناس يُمدح على أعمال لم يقم بها، فيفرحون، على الإنسان أن يتجنب النفاق، فيلتزم بوعوده ومواعيده ولا يخالفها.

الآية تشير إلى عتاب من يعد ثم لا يفي، مما يبين أن عدم الوفاء بالوعد هو نوع من الكذب. وقد أكد النبي ﷺ ذلك بقوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان."

(الآية 4):

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾

١ موضوع الآية

بعد العتاب على ما لا يترتب عليه فعل، أثنى الله على أهل الفعل الحقيقي: حين سئل النبي ﷺ عما يحبه الله، جاء الجواب جامعاً لمعنى القوة والانضباط: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص".

٢ معنى الفئال "صفاً"

يحب الله أن يقاتل المؤمنون منظمين؛ لأن النظام أساس التعاون وسبب لتعظيم أثر العمل. فالعمل الجماعي دائماً أقوى من العمل الفردي، ويحقق نتائج أعظم بكثير مما ينتجه كل فرد بمفرده.

٣ أهمية الاصطفاف في ساحه الفئال

يمنح المقاتلين قوةً وهيبة في المواجهة. يتيح لكل مقاتل دعم الآخر وحمايته. الجبهة المتماسكة تكون أقوى وأكثر تأثيراً من المقاتلين المتفرقين. يعزز الاصطفاف روح الانضباط والتعاون الجماعي بين المؤمنين.

٤ (بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)

القول الأول: (وهو الأشهر): أنهم مترصون، متقاربون، يشد بعضهم أزر بعض، مثل حجارة متماسكة لا فراغ بينها. **القول الثاني:** أن المرصوص من الرصاص؛ كأن البناء قد حُشي بالرصاص بين أحجاره، فيزداد صلابة وثباتاً. وهو معنى لغوي محتمل، لكنه أضعف من القول الأول.

٥ الآية وعلاقتها بالواقع الاجتماعي

مع أن الآية جاءت في سياق القتال، إلا أن معناها يتسع ليشمل كل مجالات الحياة؛ فهي تؤسس لمبدأ الاجتماع وعدم التفرق؛ ليس كل خلاف يستحق أن يتحول إلى خصومة. وليست العلاقات الدعوية أو التعليمية ميداناً للتنافس والحسد.

٦ صلة الآية بموضوع الاستجابة الربنية

إن الوقوف في صف مرصوص من أقوى مظاهر الاستجابة. من يبقى في مكانه الذي وضعه فيه النبي ﷺ في الغزوة، ولا يتحرك عنه، إنما يعلن أعلى درجات الطاعة والانقياد.

(الآية 5):

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمٍ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

١ الآية نموذج لعدم

الاستجابة بني إسرائيل

بعد أن عرضت السورة الصحابة مثلاً للاستجابة والانضباط، قدمت نموذجاً معاكساً: قوم موسى عليه السلام الذين لم يستجيبوا له وأسأوا معاملته رغم كونه رسول الله إليهم.

٢ (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)

الله لا يظلم أحداً، من أضله الله فهو بسبب نفسه لأنه بدأ بالزيغ.

٣ (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

أي أن الفاسق الخارجين عن طاعة الله تعالى عمداً، (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (النحل 118) فلا ظلم عليهم هم ظالمي أنفسهم.

العجيب أن الشاكي هو رسول الله موسى عليه السلام، والذين اشتكى منهم ليسوا الكفار، بل قومه ممن آمن به ومع ذلك آذوه مرات عديدة. فواجهوه بتحدٍ صارخ، وتذقروا من نعمة الله، وقالوا عنه إشاعات جارحة وقد براءة الله، وجادلوه في كل أمر

(الآية 6):

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

الفرق بين رسالة الأنبياء ورسالة
النبي محمد ﷺ

٢

قال تعالى في حق النبي محمد ﷺ:

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)

(الأعراف 158)

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

نَذِيرًا) (الفرقان 1)

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَاقَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ 28)

وقال النبي ﷺ: "وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة،

وُبعثت إلى الناس كافة."

وقال أيضًا ﷺ: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع

بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن

بالذي جئت به إلا كان من أهل النار".

(وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي
اسْمُهُ أَحْمَدُ)

٤

البشارة بسيدنا محمد ﷺ بشارة ثابتة في كتب أهل

الكتاب، كما قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوءًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ)

(الأعراف 157)

وكان النبي ﷺ يقول: "أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة

عيسى".

فسيدنا إبراهيم قال: (رَبَّنَا وَإِنَعْتُ فِيهِمْ رَسُولًا

مَنْهُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْنَا عَائِيَّتَكَ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ

وَيُرْخِيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة 129)

(الآية 7):

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى

الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

يخبر الله تعالى أن أظلم الناس من: يفترى الكذب على الله،

ويدعى إلى الإسلام، ثم يمنع الناس من الهداية ويصدّهم

عن الحق.

دعوة عيسى عليه السلام محدودة
لبني إسرائيل فقط

١

عيسى عليه السلام خاطب بني إسرائيل ولم يخاطب

جميع البشر، لأن رسالته كانت مخصصة لهم فقط.

كما جاء في الإنجيل: "إني أرسلت إلى خراف بني

إسرائيل الضالة".

مما يوضح أن الحملات التبشيرية "التنصيرية"

المنتشرة عالميًا تتناقض مع النصوص الأصلية

لرسالة عيسى عليه السلام، التي كانت موجهة فقط

لبني إسرائيل. فإذا كان أهل الكتاب يلتزمون بفهم

دينهم كما هو منصوص عليه، فإن نشر الرسالة

للعالم بأسره يتعد عن نطاقها الشرعي الأصلي

ويناقض الأصل الذي جاءت به.

(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ)

٣

علاقة عيسى عليه السلام بموسى عليه السلام:

عيسى عليه السلام جاء مصدقًا للتوراة، وعاملاً

بها. ورسالته ليست مستقلة، بل مكملة للتوراة.

فالتوراة هي ما يسمونه العهد القديم، والإنجيل

العهد الجديد.

الإنجيل يحتوي على: رسالة أخلاقية، وبعض النسخ

لبعض الأحكام في التوراة

كما قال عيسى عليه السلام (وَيَأْجِلْ تَكُم بَعْضُ

الَّذِي حَزَمَ عَلَيْكُمْ) (آل عمران 50)

فكانت التوراة سارية بينهم، والإنجيل إضافة

للتشريعات والأخلاق.

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا
هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)

٦

الخلاف في الضمير في قوله تعالى: (جَاءَهُمْ)

للمفسرين قولان:

القول الأول:

قاعدة: الضمير يعود على أقرب مذكور وهو: أحمد.

عندما جاءهم النبي محمد ﷺ بالبينات قالوا أن

ما جاء به سحر، فكفر به النصارى واليهود.

القول الثاني:

الضمير يعود على عيسى عليه السلام.

عندما جاء عيسى لليهود بالبينات قالوا: أن ما جاء

به سحر وكذبوا به.

وكلا المعنيين صحيح، وفيهما توسيع للمعنى؛ إذ

يظهر أن: اليهود كذبوا عيسى عليه السلام،

والنصارى واليهود كذبوا النبي محمد ﷺ.

(الآية 8):

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾

٢

- هذا المعنى يوضح حقيقة عظيمة: أن الله عز وجل سيتم نوره وينصر دينه سواء عملنا نحن أم لم نعمل.
- هذا يعلمنا أن مسؤوليتنا تجاه الدعوة والنصرة شخصية وأصلية، وأن أي تقصير في واجبنا يمكن أن يكون سبباً للمساءلة أمام الله.
- لذلك، العمل في نصرة الدين، واجب علينا لسلامة أنفسنا وضمن رضا الله.
- سينتشر هذا الدين في كل بيت، وسيحدث ذلك في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام.

(الآية 9):

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

- يبين الله تعالى أنه: أرسل نبيه ﷺ بالحق، وسيظهر هذا الدين على سائر الأديان مهما حورب.

موضوع الآيه

١

- يضرب الله مثلاً عظيماً: كأن من يريد أن يطفى نور الله مثل من يحاول أن ينفخ في الشمس ليطفئها، وهذا عبث مستحيل، والله المثل الأعلى.

أسأل رب نحفب الله تعالى للمؤمنين

٣

- بالأجر والثواب التحفيز بالتسبيح: بيان أن الكون كله يستبح، فيجب على الإنسان أن يستجيب.
- التحفيز بصفات الله: العزيز الحكيم؛ فاستجابتك هي استجابة لربك العزيز الحكيم.
- التحذير من مخالفة القول الفعل مثل قوله تعالى: (لَمْ تَقُولُوا مَا لَمْ تَفْعَلُوا).
- ضرب الأمثلة بالنموذج والقدوة: أمثلة لمن استجابوا فأثنى الله عليهم، ولمن لم يستجيبوا فأصابهم العقاب.
- التحفيز بالثواب (وهو أسلوب منتصف السورة): ماذا سيأخذ المؤمن؟ ما هو الثواب؟
- الله عز وجل ناصر دينه لامحالة، والله متم نوره رغم كراهية الكافرين.

(الآية 10):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

- أعظم تجارة مع الله
- كلمة تجارة توحى مباشرة بالريح، ولذلك يبدأ الله بوعيد يدفع الضرر: تنجيكم من عذاب أليم.
- الإنسان بطبيعته مجبول على دفع الضرر قبل طلب النفع.

(الآية 11):

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

حِفْظُ صَفْعَةِ الْإِيمَانِ

٢

- الله يرزقك المال والصحة والعمر، ثم يطلب منك جزءاً يسيراً منها طوعاً مقابل الجنة التي تدخلها برحمته.
- المال مال الله أصلاً بدليل قوله تعالى في الآيات: (وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ) (النور 33) (وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ) (الحديد 7) (وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَنفِقُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ لَّنْ هُوَ شَرُّ لَّهُمْ سَيُظْوَقُونَ مَا بَدَّلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (آل عمران 180)

موضوع الآيه

١

- يبين الله العمل المطلوب لتحقيق هذه التجارة.
- الإيمان هو بوابة دخول الجنة، والجهاد بالنفس والمال هو الطريق.
- بدأ الله بالمال قبل النفس، لأن كثيراً من ميادين الجهاد لا تقوم إلا بالإنفاق.

(الآية 12):

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

- الفوز ليس منصبًا، ولا مالًا، ولا جاهًا؛ وإلا لكان الفقير والمظلوم محرومين من الفوز!
- لكن: من دخل الجنة، فقد فاز.
- ومن فرط فيها هو الخاسر مهما ملك من الدنيا.
- كما قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) (الزمر 15)
- وقال: (فَمَنْ رُخِرَ عَنِ التَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) (آل عمران 185)

(الآية 13):

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

٢

- جاء الفعل بصيغة "بشّر" ولم يذكر "بشّرهم"، دلالة على أن النصر مرتبط بقوة الإيمان واستجابة المؤمنين.
- النصر قريب، ولكنه للمؤمنين حقًا؛ إيمانًا واستجابةً وعملاً. هذا نداء لتقوية الإيمان والاستجابة لله، فالنصر لا يتحقق إلا لهذه الفئة، مع الأخذ بكل الأسباب.

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾

١

- إلى جانب الثواب الأخروي، وعد الله المؤمنين أيضًا بنصر دنيوي، حيث وعدهم بنصر من الله وفتح قريب. تشير الآية إلى أن النفوس تتطلع إلى الأمور الدنيوية، وقد وعدهم الله بتحقيق ذلك. لكن النصر الدنيوي مشروط بالإيمان الصحيح والاستجابة لأوامر الله.

(الآية 14):

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾

٢

- الحواريون هم خلص أتباع عيسى عليه السلام، وسُمّوا "حواريين" لصفاء قلوبهم ونقايتهم.
- نسبة إلى "الخَوَر" الذي يدل على شدة البياض والنقاء.
- قال النبي ﷺ: «لكل نبي حواري، وإن حواريّ الزبير بن العوام».

شرط النصر الإيمان والعمل الصالح

١

- (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) (محمد 7)
- الطريق إلى النصر يبدأ بالإيمان والعمل الصالح.
- كلما استجابت الأمة لله ورسوله واتبعت منهج أهل السنة، اقتربت من النصر. وعندما تَخَلَّ الأمة بهذا الشرط، تُحرم النصر.
- الطريق إلى النصر: نصرة الدين بنفسك وفي التزامك، في استقامتك، في ترك الحرام، وفي الطاعة.

﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾

٣

- "إلى الله" تعني أن الدعوة لا تقتصر على التوجيه فقط، بل تشمل العمل الجاد لنشر الحق وتعليم الناس دين الله بإخلاص

٤

الفرق بين "كونوا أنصار الله"
و "أنصاري إلى الله"

- "كونوا أنصار الله" تعني الاستقامة على الطاعة واتباع العقيدة الصحيحة.
- أما "أنصاري إلى الله" تعني الدعوة إلى الله بعد إصلاح النفس.
- وهذا يشبه ترتيب سورة العصر الخطوات العملية:
- (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) : أنصار الله.
- (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) : أنصار إلى الله.

٦

(فَأَمَنَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَكُفِرَ طَائِفَةٌ)

- أمنت طائفة بسيدنا عيسى عليه السلام إيماناً صحيحاً، وبذلك بقي فئة موحدة على دين المسيح حتى بعثة النبي ﷺ .
- الطائفة التي كفرت وتشمل: اليهود الذين كفروا به أصلاً،
- ومن بدّل دين المسيح بعد ذلك، فقالوا: إنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو أنه أقتنوم من الأقانيم الثلاثة، بحسب اختلاف طوائفهم.
- بقاء طائفة على الحق : حديث النبي ﷺ : «إِن اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ، إِلَّا غَيْرَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».
- ظَلَّتْ فِتْنَةٌ قَلِيلَةٌ جَدًّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثَابِتَةً عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ الْحَقِّ، حَتَّى ظَهَرَ الْإِسْلَامُ.
- من دلائل ذلك ما ورد في قصة إسلام سلمان الفارسي، وفيها أخبار كثيرة عن من بقي على الحق من النصارى.

٥

موقف الحوار بين

- الحواريون لما اكتملت الصورة في قلوبهم قالوا: "نحن أنصار الله". فيجب الاقتداء بهم؛ فنخرج من سورة الصف بقرارات واضحة، لا مجرد تلاوة.

٧

(فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ)

- ظاهرين يعني منتصرين.
- الإشكال: الآية تتحدث عن "الظهور" بعد تأييد الله للمؤمنين، لكن هناك أمر يحتاج توضيح: لم يثبت في التاريخ أن الموحدين من النصارى الذين على الدين الحق انتصروا على أعدائهم لذلك فسر العلماء أن المقصود بهذه الآية الظهور ببعثة محمد ﷺ
- إن كان المقصود ظهور السيف والقوة: فالذين اتبعوه هم محمد عليه الصلاة والسلام وأمته، فكان تمكينهم وانتشارهم نصرًا لعيسى وأتباعه الموحدين.
- أما إن كان المقصود ظهور الحجة والبرهان: فالمؤمنون دائماً ظاهرون بالحجة، لأن الحق لا يُهزم في المناظرة إذا حمله من يفهم دينه حق الفهم.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.
اللهم تقبل منا هذه الدورة الطيبة.
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،
أستغفرك وأتوب إليك.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.